

إنّه الموعد مع التاريخ...

يجيء زمن الزرع .. بدفق السنايل .. وكل عام والقمح مكتنزا
وأصلب .. يجيء زمن الزرع .. وميلاد متجدد مع ذكرى التغيير : فجر
آذن بتبديد الضباب .. واكتساح الغيمة .. فانفجر المطر : تباشير
تشرينية احتشد فيها الضياء على أديم الصحو المؤتلق ..

.. بالأمس لم يكن شيء في الأفق غير المجهول .. فكان حتما أن يخرج
الليث عن صمته .. ومن عرينه متلاتما مع سمته ليزار .. من أجل أن تخبر
كل الأصوات الناعقة المتآمرة على الأرض والإنسان والتاريخ ... ومن
أجل وقف التزييف وإبراز هيبة الحمى وقداصة الماء والثرى .. فانبرى الصوت
من أصلاب نقيّة وأصول عربية محضة يدين بالولاء لهذا الوطن - تونس -
عنوانا ومرجعية وهوية ومثوى أزليا .. ليأخذ بزمام الأمر الذي كاد ينفرط
عقده ويصادره الطامعون والمتآمرون وقد آذن بافتقاد شرعيته ...

وجاء الحسم التاريخي وكان لابن افرقية موعد مع التاريخ ليكسر
بجراته وشجاعته الوطنية الفذة مساره الخطي ... بدون أي عباءة إيديولوجية
أو ترسانة انقلابية ... جاء مسبقها كل النبوءات السياسية والنخبوية جاء
بدون مصفحات أو بافطحات أعدت سلفا ... جاء بدون بهرج إلا الوجه الأسمر
جاء في يوم كان لإشراقة الشمس فيه دفء خاص ولتفتق الورد عن أكمامه
عبير خاص ... إنه يوم الثورة التاريخية الحديثة التي قادها مظفرا :
القائد : زين العابدين بن علي = 7 نوفمبر 1987 .

إن هذا الفجر الذي أشرق في تونس وسط محيط الإحباط والعمته
والإنتكاسات كان بيانا حضاريا أكبر من جغرافية الأرض التي ولدته ...
وكان مضمونه أن عملية الإنقاذ التاريخية التي أشرفها بن علي بارادة ريادية
وبطولية فذة رسمت معالم دورة حضارية جديدة لتونس أثبت فيها أن التاريخ
لا يشيّد صروحه إلا أصحابه .. وأن الأرض لا تتزيّن ولا تتلاءم إلا مع
أصحابها وأن الهوية لا تصالح إلا أبناءها ..

فالتغيير : حرر تاريخ تونس في منته ومساره من كل مصادرة واحتواء
صنمي ومن كل قراءة خطية أو تحريفية /انقلابية أو تأمرية ... وثور
المسكوت عنه .. وكل رصيده المذخور والمهمّل .. ليتدفق نبعا للحاضر ..

التغيير : أعاد الاعتبار للإنسان في تونس .. رفع هامته وحرره
من القهر والإستيلاب الإيديولوجي السرطاني .. وحرره من أخطبوط
الخوف وبوأ كرفد مقاما كريما - مقاما أمينا .

التغيير : أعاد الاعتبار للأرض / الوطن : الجغرافيا والكيان
المستقل : أحى ما اكتنفه أديمها واحتشد في طواها : من رموز
وشخص وأبنية وكنوز ومآثر ومعالم ومصطلحات ومباهج ومفاتيح وذاكرة
حية .. وما عاد هناك شبر موات .. وتحذر الماء نحو الجنوب كما لم يكن
من قبل أبدا .. وصارت الأرض حبلى دائما .. حية دائما بحد كل ذرى
أترتها وحبّات رملها ..

التغيير : هيا بمبادرة تاريخية جسورة كل شروط الأمان والحرية ..
على درب تشريكه لكل المجموعة الوطنية في الفعل الجمعي .. فصرنا
ننجز بأريحية .. ونسهم في القرار والاختيار .. تحرسنا عيون أشبال
التغيير ونحن في أمان نزرع ... والمطرينزل .. والطير تغدو خماسا
لتعود للوطن بطانا .. فالحصاد وفير ..

وبعد : فقد أعطى قائد الوطن .. للوطن - رمزا - بلون خضرته ودمه
القاني كل عمقه الحيوي في تفرده أولا ثم في امتداده العربي والإسلامي
والعالمي ثانيا .. فصارت تونس أنموذجا للإحتذاء .. ييمم إليها كل
المريدين وجهتهم في المعمورة ...

.. لقد أرسى التغيير أرضية ثقافية ومعرفية خصيبة وفضاء
للتسامح فسيحا يستقطب كل التنوع والاختلاف .. منفتحا على البحر
واليابسة ومناخا للكدح والعطاء حميميا .. فكان الإبداع .. وكان التألق
وكان الإشعاع ... قلادة الإمتياز على صدر الوطن لهذا كله حق للإتحاف
أن تحتفي بالذكرى - الحادي عشر - للتغيير التاريخي الفذ .. لترسم
بمدادها النابض تباشير الحبور والفرح الدائم .. ومادام نبع تشرين يفيض
أزليا .. فسنحبر بكل أقلام نقنتها من أغصان الشجر الغض .. على
كل رق وعلى صفائح الصخر وأوراق الشجر وفي جبين الشمس كل متون
الولاء .. والعهد والفداء .. للوطن .. وقائده ورائد عزته وتألقه سيادة

التحرير

الرئيس : زين العابدين بن علي .

التوفيق بين ثقافة الإمتياز

وثقافة التضامن

(من مقاربات العمل التنموي للفترة القادمة)

بقلم : لطفي بن عمر جمعة

ستعمل الدولة من أجل التوفيق بين ثقافتين : ثقافة الإمتياز والتسابق قصد تحقيق أفضل النتائج التي قد تؤدي إلى إفراط في النزعة الفردية بسبب اشتداد المزاومة وضراوة المنافسة وثقافة التضامن التي يفرضها الحفاظ على الوفاق الإجتماعي الذي أضحي من أهم ميزات النموذج التونسي للتنمية .
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>
المخطط التاسع للتنمية (1997 - 2001) مجلد 1 - ص 12 .

إن الإرتقاء بتونس إلى مصاف الدول المتقدمة في مطلع القرن الواحد والعشرين يمثل رهانا وطنيا مؤسسا لمشروع حضاري يرمي إلى تحقيق تنمية شاملة ومتكاملة للإقتناع السائد اليوم من ارتباط التنمية الإقتصادية بالتنمية الإجتماعية بل إن " تحقيق التنمية الذاتية المطردة لابد لها من أن تقوم على أسس اجتماعية تضمن تغذيتها وتوزيع أعبائها وثمراتها " (1) . ولاعتبار لما للنهوض الإجتماعي من دور هام في إيجاد الأرضية الصلبة والسانحة لتحقيق الأهداف التنموية ستتكثف الجهود خلال المرحلة القادمة " من أجل التوفيق بين ثقافتين : ثقافة الإمتياز والتسابق قصد تحقيق أفضل النتائج التي قد تؤدي إلى إفراط في النزعة الفردية بسبب اشتداد المزاومة وضراوة المنافسة . وثقافة التضامن التي يفرضها الحفاظ على الوفاق

الإجتماعي الذي أضحى من أهم مميزات النموذج التونسي للتنمية " (2) . فما هي ثقافة الإمتياز ؟ وكيف يمكن أن تؤدي إلى الإفراط في الفردية ؟ وما هي المقاربة التونسية النموية في التوفيق بين ثقافة الإمتياز وثقافة التضامن ؟

ثقافة الإمتياز :

تعتبر الثقافة عاملا قادرا على دعم قدرة الأفراد على ملائمة عقلياتهم وسلوكهم مع المتطلبات الجديدة المتمثلة في اندماج البلاد في الإقتصاد العالمي ومواكبة العولمة . هذا العامل هو ثقافة الإمتياز التي تعني " ثقافة التسابق نحو أفضل النتائج والعمل المتقن والبحث المتواصل عن تحسين الجودة " (3) . كما تعني ثقافة الإمتياز " جملة من القيم والخصال والجهود ... تتلخص بالخصوص في الكفاءة العالية والمردودية القصوى والتفاني والإتقان والتفوق والإمتياز " (4) وهي قيم يحتمها رهان الإنفتاح على الإقتصاد العالمي ومعركة الجودة والمنافسة في الأسواق العالمية على كل عناصر الإنتاج وقوى العمل وكل الأفراد بصفة عامة بل " التشبع بها وامتلاكها وتكريسها على أرض الواقع اليومي في مواقع العمل وفي كل المجالات " (5) . وذلك " بالعمل المتواصل في كنف المبادرة المبدعة والتطلع دوما إلى الإمتياز في الدراسة والإمتياز في الإنتاج والإمتياز في الخلق والإبداع " (6) . والوسيلة المثلى لتكريس هذه القيم والخصال وتجسيم الأهداف المنشودة هو التأهيل الشامل بمكوناته الفكرية والمادية فهو برنامج يتسع للمؤسسات الصناعية ولسائر عناصر المحيط الإقتصادي والإجتماعي وهو الكفيل بالإرتقاء إلى أعلى درجات الكفاءة والمردودية والتنظيم المحكم والسيطرة على الجودة والكلفة وتقنيات الإنتاج الحديثة ومتابعة متطلبات المنافسة العالمية " (7) .

وخلاصة القول فإن الإمتياز عقلية وممارسة فهو عقلية متطورة لا تقنع بالإنجاز العادي وإنما تسعى دوما إلى تجويد هذا الإنجاز والعمل وفق روح عالية من التفوق والمبادرة والابتكار والتوق الدائم إلى الأفضل " (8) . وهو ممارسة بتضافر جهود كافة القوى واستنهاض الهمم وبلوغ أعلى درجات الكفاءة والمردودية وانتهاج سبيل التفوق والإمتياز على كافة الأصعدة وأخذ عامل الوقت في

الإعتبار .. مع الكد والجهد والبذل والعطاء " (8) .

ثقافة الإمتياز والفردية :

إنّ ثقافة الإمتياز والتسابق نحو أفضل النتائج قد تؤديّ إلى النزعة الفردية بل ربّما إلى الإفراط فيها بسبب اشتداد المزاومة وضراوة المنافسة .

الإمتياز والفردية L'Individualité :

انطلاقا من اعتبار الإمتياز "امتلاك جملة من القيم والخصال تتلخّص بالخصوص في الكفاءة العالية والمردودية القصوى والتفاني والإتقان والتوفيق والإتيار " (9) والتشبع " بروح عالية من التفوق والمبادرة والإبتكار والتوق الدائم إلى الأفضل " (10) يجعل مَن يمتلك هذه القيم والخصال يتميز عن غيره ويفرد ويتّصف حينها بالفردية التي هي " بالمعنى العام ما يتميز به الفرد عن آخر من الصفات الجسميّة والمعنويّة كبنيتّه ومزاجه وحساسيتّه وذوقه وأفكاره وكلّ ما من شأنه أن يجعله ذا خلق فريد وطابع خاص " وبعبارة أخرى فالإمتياز بذلك مقابل للفردية التي هي " مجموع الصفات التي يتميز بها الفرد بين أفراد نوعه أو مجتمعه " (11) .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ثقافة الإمتياز والنزعة الفردية L'Individualisme :

إنّ ثقافة الإمتياز التي هي " التسابق نحو أفضل النتائج والعمل المتقن والبحث المتواصل عن تحسين الجودة " (12) " تترك الحرية الكاملة للفرد في تحديد اختياراته وأفضليّاته وخطوط عمله بواسطة خضوعه للقواعد ومعايير وقيم ذات محتوى عام إلى أقصى حد " . فالمجتمعات التي تسود فيها مثل هذه الثقافة " يعتبر الفرد (فيها) الوحدة المرجعية الأساسيّة سواء بالنسبة إليه بالذات أو بالنسبة للمجتمع (إذ) أن الفرد هو الذي يقرّر مهنته ويختار قرينه وهو يتحمّل "بحرية تامّة " مسؤوليّة معتقداته وآرائه " (13) . " فغاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد والسّماح له بتدبير شؤونه بنفسه " وهي خاصيّة مميّزة للمجتمعات الصناعيّة الحديثة . هذه الخاصيّة هي الفردية التي "تطلق على القول أن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات

المحيطة به لأنَّ الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة . فالمثل الأعلى للسياسة الصحيحة هي تحرير الفرد وتنمية نشاطه الذاتي وإرجاع وظائف الدولة إلى عدد محدود .. لأنَّ ازدياد سلطان الدولة تضيقاً بحرية الفرد وعائقاً عن تنمية قواه وإذا تعطلت إرادة الفرد واستولى عليه الجمود خسر المجتمع صفقته " (14) .

ثقافة الإمتياز والإفراط في الفردية :

لمعرفة معنى التميز والتفوق لابدَّ من إيجاد أجوبة لمثل الأسئلة التالية " من يستطيع أن يصنع أفضل المنتجات وأجودها ؟ من يرفع مستوياته المعيشية بسرعة أكبر من غيره ؟ من لديه قوة العمل الأفضل تعليماً ومهارة وإنتاجية ؟ من يحتل الصدارة في مجال الإستثمار وإنشاء المصانع وتحديث المعدات والبحث العلمي ولتطوير التقني ؟ من تتمتع مؤسسته بالصدارة من حيث كفاءة منتوجاته وجودتها ؟ كل هذه الأشياء التي فيها معنى التميز والتفوق تتحقق بفعل المنافسة والمنتصر في معركة المنافسة هو الذي يتسلح بالإرادة والإصرار على كسب رهان المزاومة ويوظف كل طاقاته البشرية والطبيعية والسياسية ليكون أفضل من الآخر على أكثر من صعيد " (15) فهذا " التسابق فصد لتحقيق أفضل النتائج قد يؤدي إلى إفراط في النزعة الفردية بسبب اشتداد المزاومة وضراوة المنافسة " (16) وبالتالي " يعيش الفرد في سياق اجتماعي فردي ... وفي جماعة ضعيفة الترابط .. (ويتصف بذلك الفرد) بممارسته المليئة بالحماس للفردية الصارمة . فليس هذا الفرد إلا نفسه دائماً صريح وغير متردد يقيس النجاح بمعناه المادي وتستهو به حرية العمل في مناخ السوق كآلية لزيادة الثروة والرفاهة وهو يسير وفق استراتيجية شخصية تتسم بالفردية الجريئة والمناورة بلا خجل .. إنه مادي براجماتي يبني شبكة الأعمال على إقناع الآخرين بأنه مخاطر جيد يعتقد أن العالم مكان بالغالصعوبة وإذا لم يصل إليه أولاً سيصل غيره وإنَّ الأمر على أي حال لا يكون إلا للأفضل " (17) كما أن الإفراط في الفردية يمكن أن يدعم غياب العمل الجمعياتي في مختلف نشاطات الحياة الخاصة والعامة " (18) الأمر الذي يضطره دائماً أن يميز ذاته عن الآخرين ويتمخض ذلك كله عن نوع من تفتيت الحياة الإجتماعية وتمييزها

بالطابع الفردي حيث يقف الأفراد بما لهم من وعي ذاتي بالتمييز والتفرد في جانب وتقف الروابط والمنظمات الكبرى في جانب آخر ولا وسط بين الطرفين " (19) .

التوفيق بين ثقافة الإمتياز وثقافة التضامن :

إنّ من شروط النجاح في تحقيق القفزة النوعية التي تقتضيها المرحلة الجديدة لتمكين الإصلاحات المرتقبة من بلوغ الأهداف المرجوة نشر ثقافة الإمتياز والتسابق قصد تحقيق أفضل النتائج ولكن هذه الثقافة قد تؤدي إلى إفراط في النزعة الفردية وذلك بسبب اشتداد المزاومة وضراوة المنافسة لذا " ستعمل الدولة من أجل التوفيق بين ثقافتين : ثقافة الإمتياز .. وثقافة التضامن .. التي يفرضها الحفاظ على الوفاق الإجتماعي الذي أضحي من أهم مميزات النموذج التونسي للتنمية " (20)

ثقافة التضامن :

التضامن مصطلح أصبح من المفردات المتداولة في محيطنا الإجتماعي والسياسي والإعلامي بل هو الآن من الأبعاد الإستراتيجية للتنمية الإجتماعية ولقد كان التضامن "مجرد فكرة أو مشروعاً لم يتجاوز إطار المناسباتية ولم يستطع الخروج من بوتقة الظرفية (أعياد ، مناسبات دينية أو ظروف تفرضها بعض الكوارث الطبيعية التي تطرأ على البلاد) . لكن اليوم تمّ تنزيل مفهوم التضامن ضمن أرضية اجتماعية وسياسية وثقافية وحضارية شاملة ليتحوّل من مجرد مشروع أو فكرة مناسباتية إلى ممارسة يومية وفلسفة عامة تؤطر امكانيات الدولة ومجهوداتها وذلك وفق برامج واضحة واعتمادات مالية مضبوطة تذهب لمستحقّيها من المعوزين والمحتاجين أينما كانوا عبر أرجاء الوطن " (21) . والتضامن اليوم لم يعد فقط " قيمة أخلاقية مثلما هو معتاد في بعض التحاليل بل هو علاقة اجتماعية ورباط بين الأفراد والمجموعات ينشأ في الأسرة ويتطور في المدرسة وينبسط على مختلف الفضاءات الاجتماعية عبر آليات ومؤسسات متعدّدة ومتنوعة تلعب فيها الدولة وأطراف المجتمع المدني أدواراً متكاملة " (22) . وحفاظاً على الوفاق الإجتماعي الذي أضحي من أهم مميزات النموذج التونسي للتنمية سبتكتشف

الجهود خلال سنوات تطبيق مخطط التأهيل الشامل المخطط التاسع للتنمية قصد ترسيخ قيم التآزر ونشر ثقافة التضامن بين الفئات والجهات والأجيال .

التضامن بين الفئات :

إن الإصلاحات الهيكلية التي انخرطت فيها تونس استبعدت عوامل التهميش الاجتماعي والإقصاء وأسست آليات للإدماج وإتاحة المجال لمختلف الفئات كي تنعم بثمار التنمية وتساهم فيها (23) وستدعم هذا التوجه في الفترة القادمة :
- بتكثيف العناية بالفئات محدودة الدخل والقادرة على العمل بتوجيه البرامج المنتجة لفائدتها وتصويب التدخلات نحوها .

- رعاية الأسر معدومة الدخل أو الفاقدة للسند وغير القادرة على العمل في نطاق البرامج الوطني لإعانة العائلات محدودة الدخل وتدخلات الإتحاد التونسي للتضامن وبقية برامج المساعدات المالية والغذائية وبرامج الدعم والإحاطة الاجتماعية.

- الإحاطة بالفئات ذات الاحتياجات الخصوصية من معاقين ومسنين وأميين وطفولة مشردة أو فاقدة للسند وعائلات محدودة الدخل من أجل توظيف كل الطاقات والإمكانات وانخراط كل الفئات في المسيرة التنموية . واعتماد التضامن كآطار ووسيلة أساسية للإحاطة بهذه الفئات (24) .

التضامن بين الجهات :

إن استراتيجية التنمية الجهوية في المرحلة القادمة تهدف إلى توفير الشروط الكفيلة بضمان مساهمة كل الجهات في المجهود الوطني ومن التوجهات التي ستعتمدها هذه الاستراتيجية العمل على توفير مزيد من التكامل والتضامن بين الجهات في نطاق مخططات جهوية للتنمية مما يقتضي :

- مواصلة العمل بالإميازات الممنوحة لفائدة المناطق الأقل نمواً وتعزيزها من خلال وضع برامج ملائمة بالنسبة إلى الجهات ذات الإشكاليات الخصوصية بهدف تنويع الأنشطة الإنتاجية ومزيد الاندماج في النسيج الوطني .

- السعي من أجل سحب الحركة الاقتصادية التي يتميز بها الشمال الشرقي والوسط الشرقي إلى جميع جهات البلاد .
- تنويع الاقتصاد الجهوي (25).

التضامن بين الأجيال :

- إن من مقتضيات الإستراتيجية المعتمدة للسنوات القادمة المحافظة على الموارد الطبيعية وحماية المحيط في إطار التضامن بين الأجيال وهذا التمشي يهدف إلى :
- المحافظة على الموارد المائية وحماية المحيط تأسيسا لتنمية مستدامة وتأمينا للقدرات التنموية المستقبلية .
- الحفاظ على طاقة البلاد لمواصلة امكانيات النمو والتنمية في المستقبل .
- تطوير طاقة البلاد بمضاعفة الجهد لحماية البيئة وترشيد استهلاك الموارد الطبيعية وتطوير البنية الأساسية ودعم التهيئة الترابية (26) .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

التضامن ثقافة وطنية :

- إن التضامن الوطني في المقاربة التونسية للتنمية الاجتماعية محور جوهري بل هو من الأبعاد الإستراتيجية لها والتي فرضتها ضرورة " المحافظة على المكاسب الاجتماعية وتدعيمها . كما أنها نابعة من الحرص على التوقي من الإنعكاسات السلبية التي يمكن أن تترتب على الصعید الاجتماعي من جراء استحداث نسق الإصلاحات وتأهيل الإقتصاد " (27) والإنخراط في الدورة الاقتصادية العالمية .
- وقد ارتقى التضامن إلى ثقافة وطنية وذلك من خلال :
- تدخلات صندوق التضامن الوطني الذي أحدث سنة 1993 " وفيه تجمع المساهمات التطوعية من المواطنين والمؤسسات وتنجز عن طريقه البرامج الكفيلة بالإرتقاء بالمناطق التي يعسر أن تشملها البرامج التنموية العادية إلى مستوى من العيش يمكن سكانها من المرافق الأساسية مثل السكن اللائق والتجهيزات الصحية والتربوية ومسالك النقل والنور الكهربائي والماء الصالح للشرب .. وقد

قدّر حجم الإعتمادات اللازمة لتمويل هذا البرنامج بحوالي 500 مليون دولار تقريباً منها أكثر من 80٪ مخصصة للمرافق الأساسية وأدرج تنفيذه في خطة وطنية تمتد من سنة 1993 إلى سنة 2000 " (28) .

- إدراج تدخّلات هذا الصندوق ضمن نظرة شاملة تضمن الإستمرارية والمردودية من خلال تدعيم العناصر التي تساهم في تسيير اندماج المنتفعين في الدورة الإقتصادية عن طريق إحداث مواطن شغل وموارد رزق .

- تجسيم المبادئ التي بعث من أجلها الصندوق والرأمية إلى تعزيز المشاركة والقضاء على أسباب الفقر والإقصاء .

- تدعيم دور المجتمع المدني والنسيج الجمعياتي والهياكل والمؤسسات المعاضدة .

- حث مختلف مكونات المجتمع المدني على المساهمة في تمويل برامج الصندوق (29)

دور المتدخلين في ترسيخ ثقافة التضامن :

إنّ " التضامن ينبسط على مختلف الفضاءات الإجتماعية عبر آليات ومؤسسات متعدّدة ومتنوّعة تلعب فيها الدولة وأطراف المجتمع المدني أدواراً متكاملة " (30) كل هذه الأطراف لها دور كبير في نشر ثقافة التضامن وتجسيمها .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

دور الدولة والمؤسسات الرسمية :

إنّ الدولة هي المسؤولة على تخطيط وتنفيذ السياسة الإجتماعية للبلاد لذلك يتعيّن عليها تنظيم طرق وأدوات التدخّل الضرورية المختلفة المتعلقة بالتضامن والتنسيق بينها وبهذه الصفة فهي :

- تعمل على تصوّر وإنجاز البرامج الإجتماعية والإقتصادية الهادفة إلى تطوير ظروف عيش ودخل الأسر المحتاجة والأصناف الإجتماعية المحرومة .

- تساهم في إعداد السياسة القومية في مجال التضامن الإجتماعي والمساعدة .

- تحقيق الرعاية والتأهيل وإدماج المجموعات المستهدفة للأخطار والأشخاص المصابين بأعاقات (31).

- تعمل على ضبط خطة شاملة ومتكاملة ومتناسقة للقضاء الفعلي والتدريجي

على جيوب الفقر قوميًا وجهويًا ومحليًا .

- تحركز على تطوير مصادر تمويل الأنشطة التضامنية العمومية منها والخاصة .
- تتولى القيام بالبحوث والدراسات اللازمة لتعريف الفقر وتحديد الفئات المحتاجة والمهددة بهدف تشخيص أولويات التدخل ورسم الخطط والبرامج والصيغ العملية .
- تسن النصوص التشريعية الهادفة إلى تنظيم وتطوير القطاعات والأنشطة التضامنية وملاءمتها المستمرة مع أوضاع المجتمع التونسي .
- تبعث وتنظم الهياكل المختصة بتنمية القطاع التضامني مع تقديم المساعدة والدعم المادي والأدبي والفني للجمعيات التطوعية القائمة على تنفيذ المشاريع .
- تعمل على دعم وتنمية المساهمة التلقائية في المجهود التضامني خاصة بواسطة وضع وتطوير البرامج التربوية والإعلامية الهادفة إلى تأصيل روح التضامن التلقائية والحفاظ على استمراريتها .

دور المؤسسات التابعة للدولة أو المشرفة عليها :

- أما المؤسسات فتعتبر الأرضية المثلى لممارسة العمل التضامني بما لديها من طاقات وإمكانيات بشرية ومادية وبهذه الصفة فهي :
- تعمل على ضبط مقاييس علمية لإسناد الأولويات في استحقاقية المساعدة لأعوانها الشيء الذي يبعدها عن الإرتجال وصرف المساعدات في غير ما رصدت له .

- تعمل على تنمية الطاقات والإمكانيات الموجودة داخلها لتحقيق أكبر قسط من البرامج التضامنية .
- تعمل على أن تشع على محيطها بالتضامن مع الفئات التي تستحق المزيد من الإعانة والرعاية باعتبار أن التضامن هو أوسع بكثير من الإعانة الموظفة على فئة معينة .

دور المنظمات الوطنية والجمعيات التطوعية :

- إن نشاط الجمعيات التطوعية مكمل للمجهود الرسمي في مجال التضامن وبهذه الصفة فهي :
- تسعى إلى تعبئة الشعور الشعبي بالتضامن وتطوير مصادر التمويل الذاتي في

نطاق القانون.

- تسهر على وضع وتنفيذ وتطوير البرامج التربوية والتشقيفية والإعلامية إذكاء للحس التضامني (32) .

- تساهم في إعداد وتنفيذ الخطة الوطنية في الميدان الإجتماعي .

- تعمل على حماية الفئات المعوزة والضعيفة من أطفال وعائلات ومسنين ومعاقين والعمل على النهوض بها اقتصادياً واجتماعياً .

- تعمل على إنجاز برامج مقاومة جيوب الفقر وتقديم المساعدات للعائلات المعوزة في المناسبات الدينية والوطنية والمساهمة في عمليات الإغاثة عند حدوث كوارث

- تعمل على جمع التبرعات داخل البلاد وخارجها وفقاً للتراتب الجاري بها العمل.

- تعمل على حث المواطنين على التبرع المادي ودعم الوعي التضامني بين مختلف الفئات والشرائح (33) .

وخلاصة القول فإن من المقاربات التنموية في تونس العهد الجديد التوفيق بين ثقافة الإمتياز وثقافة التضامن " في إطار يوفق بين العمل الإقتصادي المرتكز على مبادئ النجاعة والجدوى وسياسة اجتماعية نشيطة جعلت من التضامن الوطني خياراً أساسياً يضمن قلاحة النسيج المجتمعي ويدعم التكافل ويحقق اندماج وبقي المجتمع من الفوارق المجدفة (34) وهو ما أكد عليه سيادة الرئيس زين العابدين بن علي في المحاضرة التي ألقاها في جامعة أنكونا بإيطاليا بمناسبة اسناد سيادته الدكتوراه الشرفية لهذه الجامعة حيث قال : " إن سعيانا الدؤوب إلى تحقيق النجاعة الإقتصادية وعملنا المستمر من أجل الإرتقاء ببلادنا إلى أفضل المراتب والدخول إلى الحداثة بمقوماتها المختلفة لم تصرفنا عن تحقيق أهدافنا الإجتماعية السامية لا فقط لاعتبارات أخلاقية وإنما لأننا مقتنعون بأن دوام الرخاء وشموليته يتحققان بتلازم الجانبين الإقتصادي والإجتماعي وتكاملهما " (35) .

الهوامش :

1 - د . حامد عمار " التكافل الإجتماعي بين الحلول القطرية والحل القومي " مجلة شؤون عربية عدد 3 أفريل / ماي 1981 ص 23 .

2 . 3 . 12 . 16 . 20 . 24 . 25 . 26 . 27 . 29 . 34 . المخطط التاسع للتنمية (1997) .

- 2001). وزارة التنمية الاقتصادية . الجمهورية التونسية . جولية 1997 . مجلد 1 ص 12 .
- 11 ص 164 . 165 ص 34 . 35 ص 21 ص 32 ص 35 ص 9 .
- 4 . 5 . 6 . 9 . جريدة الصحافة 12 نوفمبر 1996 .
- 6 . جريدة الصباح 24 ديسمبر 1997 .
- 7 . 10 . جريدة الصحافة 2 جانفي 1997 .
- 8 . جريدة الصحافة 24 ديسمبر 1996 .
- 11 . 14 . د . جميل صليبا " المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية) . دار الكتاب اللبناني . بيروت . ج 2 1982 ص 140 . 141 . 142 .
- 13 . ر . بودون وف . بوريكو . ترجمة : سليم حداد " المعجم النقدي لعلم الاجتماع " . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت ط 1 . 1986 ص 414 .
- 15 . ملحق الملاحظ (الأسواق (للمؤسسة للمال للأعمال)) مجلة الملاحظ عدد 258 (من 4 إلى 10 نوفمبر 1998 ص 10 .
- 17 . نظرية الثقافة تأليف مجموعة من الكتاب . ترجمة : د . علي سيد الصاوي . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت عدد 223 . جولية 1997 ص 223
- 18 . د . حليم بركات . المجتمع العربي المعاصر (بحث استطلاعي اجتماعي) . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . ط 4 1991 ص 350 .
- 19 . السيد عبد العاطي السيد . علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري) . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . 1984 . ص 296 .
- 21 . جريدة الصباح 4 نوفمبر 1995 ص 4 . <http://ArchivebenSalah.com>
- 22 . 28 . 30 . 35 . سيادة الرئيس زين العابدين بن علي . من المحاضرة التي ألقاها في جامعة أنكونا بايطاليا بمناسبة إسناد سيادته للدكتوراه الشرفية لهذه الجامعة . 5 ديسمبر 1997 .
- 23 . جريدة الصحافة 22 ديسمبر 1994 .
- 31 . الجمهورية التونسية . وزارة الشؤون الاجتماعية . أمر عدد 306 لسنة 1988 مؤرخ في 25 فيفري 1988 يتعلق بتنظيم وزارة الشؤون الاجتماعية . الرائد الرسمي عدد 18 الصادر في 15 مارس 1988 .
- 32 . محمد صالح القاسمي . " من مشاغل المجتمع الحديث " . مطبعة الإعلان . مارس 1993 . ص 99 . 100 .
- 33 . الجمهورية التونسية . وزارة الشؤون الاجتماعية . " دليل الجمعيات ذات الصبغة الاجتماعية " . جولية 1994 .

الكتاب التونسي

بين خصوصية العمل الثقافي ورهانات

الدولة العصرية

بقلم الأستاذ : الأزهر النفطي

لقد اعتبر صانع التغيير زين العابدين بن علي العمل الثقافي ظاهرة مجسمة للإنسان في وجوده الفردي والجماعي بما هو مشدود إليه من قيم وما هو منجط فيه من شتى ضروب الفعل وألوان العمل الذهني المادي . والعمل الثقافي بصورة أدق هو دعامة للمكاسب الوطنية ومحرك جوهري لمجهودات الدولة العصرية في إرساء قواعد التنمية والتأهيل الشامل . وتبرز العلاقة العضوية بين العمل الثقافي والتنمية في مفهومها الشامل في الوظائف الاجتماعية للثقافة في دولة المجتمع المدني : « وإنما تتفاضل الثقافات بمدى استحضارها للإنسان "حسب عبارة ابن خلدون . وطبيعي أن تبرز العلاقة العضوية بين العمل الثقافي وصناعة الكتب باعتباره المنزلة الرفيعة التي تحتلها صناعة الأثر المكتوب في منظومة الإنتاج الثقافي باعتباره الآلة الإقتصادية التي تمكن من التعريف بمكونات المنتج الثقافي ونشر مصادره وروافده على نطاق واسع .

على هذا النحو ، حددنا عناصر عملنا في ثلاثة محاور رئيسية :

أ - العمل الثقافي استراتيجية ضرورية في رهانات الدولة العصرية .

ب - العمل الجمعياتي والكتاب في ظل الدولة العصرية .

ج - السياحة الثقافية رهان على صناعة الكتاب التونسي .

1 - العمل الثقافي استراتيجيَّة ضروريَّة في رهانات الدولة العصريَّة :

« انطلاقاً من هذا الواقع الجديد ، فإننا نعتبر أنَّ البعد الثقافي يجب أن يكون شأن الجميع ... وهو ما يستدعي تضافر جميع الأطراف ووعي المنتجين وأصحاب الأعمال في مختلف القطاعات ، بأن الثقافة تسند نشاطهم وتفتح لهم الأسواق وأن دعمها والإستثمار فيها ليس من باب الكماليَّات ، بل هو خيار استراتيجي مهم ، وإن لم نلمس نتائجه بصورة حينية مباشرة » .

الرئيس زين العابدين بن علي

(اليوم الوطني للثقافة - قرطاج 16 فيفري 1998) .

تحتل الثقافة موقعا رياديا في رهانات ثورتنا الحضارية الإصلاحية الهادئة باعتبارها آلية فذة من آليات تطوّر الشعوب وتقارب المجتمعات وحافزا على اقتحام الألفية القادمة بثقة في النفس وإيمانا بالمستقبل كما أنها أداة مثلت لتجذير الوعي المدني وترسيخ السلوك الحضاري ودعم أسس الحرية ومبادئ الديمقراطية وبناء الدولة العصرية بالمشاركة في دفع عجلة التنمية والتأهيل الشامل والإنصهار الفاعل في بوتقة العولة وقانونها الرّبحي والثورة الإتصالية ومستجداتها المتسارعة .

كما تعتبر الثقافة من أهم الإستراتيجيات الجوهرية ومن أوكد الخيارات الكبرى والقطاعات الحيوية المساندة لثورتنا الهادئة التي أرست قواعد ثقافة الإمتياز فظفرت في غضون سنوات قليلة من الإصلاحات الجذرية باجماع دولي مشهود أهل العاصمة التونسية أن تكون عاصمة ثقافية اقليمية متوسطة لسنة 1997 . وتعزّز إشعاعها وتألّفها الحضاري الثقافي باقرار صانع التّغيير زين العابدين بن علي في اليوم الوطني للثقافة الموافق لـ 16 فيفري 1998 بأن تصبح عاصمة دائمة للثقافة تشعّ على من حولها بثقافة الإمتياز وتضع صناعة الكتاب في مقدّمة أهداف وبرامج المخططات التنموية باعتباره ركيزة أساسية من ركائز النمو والتطور والتقدّم ومحركا جوهريا في رهانات الدولة العصرية وفي استراتيجيَّة مسيرتها المظفّرة للحاق بمصاف الأمم المتقدّمة . وهكذا ندرك أن

العمل الثقافي في عصرنا قد تحول إلى آلية منه آليات الإنتاج والإبداع وإلى صورة مشرقة من صور الانفتاح على الآخر والتفكير في البحث عن صيغ جديدة وعن تصورات مغايرة وعن نسق واضح وعن أسس ومفاهيم ومقاصد ومصطلحات وآليات عصرية تتمحور حول اهتمامات الشعوب والمجتمعات وحياة أفرادها اليومية والقدرة على التأقلم مع التحولات العالمية .

2 - العمل الجمعياتي والكتاب في ظل الدولة العصرية :

« وأنتم تدركون مدى الأهمية التي نوليها في هذا السياق للنسيج الجمعياتي باعتباره مقومًا أساسيًا في بنية المجتمع المدني لا فقط من حيث حرصنا على مشاركة الجميع في الحياة الجمعياتية وتأكيدنا الدائم على دفع حضور المرأة والشباب فيها بل أنها من حيث ضرورة أن تشمل مختلف الميادين والقطاعات الإقتصادية منها والإجتماعية والثقافية فهي جزء لا يتجزأ من عوامل التنمية والتقدم ومقوم من مقومات ازدهار البلاد . »

الرئيس زين العابدين بن علي

(اليوم الوطني للجمعيات 23 أبريل 1998) .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تحت راية مشروعنا المجتمعي الرائد القائم على معانقة شوق الحياة تنضوي ست آلاف جمعية تنخرط ببرامجها الطموحة وبمسيرتها للمستجدات المتسارعة في صميم منظومة التحديث والتغيير والإصلاح وتمارس عملها المتوافق مع مقتضيات تطور الدولة العصرية تحت راية قيادة سياسية رشيدة وميثاق وطني صادقت على بنوده والتزمت به كل الحساسيات والمنظمات الوطنية بحرية مسؤولية وثقة في المستقبل فتشع هذه الجمعيات على من حولها بمبادرتها الرائدة وسعيها الدؤوب وحركتها المتنامية في شتى ضروب الفكر والإبداع وبمختلف المجالات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والعلمية والثقافية وتحظى برعاية موصولة من صانع التحول وتجسد الدعم والمساعدة من مؤسسات وهيكل الدولة العصرية باعتبارها سندا صلبا ومؤمنا وفيًا على مكاسب التغيير .

وطبيعي أن يتحول العمل الجمعياتي خلال سنوات "الإنقاذ والمشاركة والإمتياز "

إلى مقوم أمثل من مقومات المجتمع المدني وإلى مرتكز محوري من مرتكزات السلوك الحضاري وإلى شريك فاعل في نشر ثقافة الإمتياز والتشجيع على الفوز بمعركة الكتاب في خضم المنافسة العالمية وشروط العرض والطلب ومستحدثات الثورة الإتصالية .

وتبرز القيمة المضافة للعمل الجمعياتي في المبادرات الرائدة التي تقوم بها عديد الجمعيات لإغناء القطاعات والمجالات المساندة لمسيرة الإقلاع التي تشهدها بلادنا مع حركة التغيير ومنها قطاع الثقافة باعتباره : " المظهر الأكمل للحضارات الإنسانية " . حسب عبارة ابن خلدون في كتاب (العبر) . حيث يتصدّر الكتاب المرتبة الأولى ويتبوأ المنزلة الرفيعة في اهتمامات ذوي العزائم الصادقة من المشرفين على حظوظ العمل الجمعياتي ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر أعضاء جمعية صيانة مدينة صيادة الذين يولون العمل الثقافي عناية خاصة بتخصيص مساحة هامة من البرامج السنوية لتنظيم الندوات الفكرية وإقامة الأمسيات الشعرية ومعارض الكتاب ومعارض الفن التشكيلي وذلك بتشجيع متواصل من مثقفي المدينة ومواطنيها يتقدمهم الدكتور الهادي مهني وزير الصحة والأستاذ الجامعي الشاعر منصور مهني رئيس الجمعية وكذلك من عشاق الثقافة بمعتمدية صيادة ، لمطة ، بوججر ومنهم رجل الأعمال المعروف الحاج عبد العزيز ميلاد الذي رصد جائزة مالية سنوية قيمة للثقافة والإبداع تصرف من ماله الخاص .

وإذا اعتبرنا أنه من الممكن تحديد طبيعة العلاقة الجديدة بين العمل الثقافي والعمل الجمعياتي خلال سنوات التغيير والإقلاع بالنظر إلى العناية الرئاسية الفاتكة بالكتاب والناشرين

والكتاب باعتبار الأخير (الكتاب) مرتكزا من مرتكزات البناء الثقافي للمجتمع في مرحلة دقيقة من مراحل التحديات والتطور التكنولوجي والتحديث الكوني الذي يترافق مع حركة الوقت وتطور التاريخ وارتباط الإنتاج الثقافي بقنوات الإتصال (الأنترنات) بالأسواق العالمية تجدنا متحمسين للتوقف عند مبادرة جمعية صيانة مدينة المنستير المعروفة بحضورها المسؤول على الساحة الثقافية وبحرص أعضائها الشديد على مواكبة الأحداث الوطنية والجهوية المتلاحقة وبمراحتهم على

الفعل الثقافي باعتباره سندا للتغيير ولمسار الإصلاحات الجذرية التي تشهدها بلادنا .

وتمثل مبادرة الجمعية في إصدار كتاب تحت عنوان (المنستير في عيون الشعراء) عن مطبعة الهلال . والكتاب عبارة عن مجموعة شعرية تتكون من مائة وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط تتحلي صفحاته من تصميم الغلاف إلى آخر نص في الديوان بصور جميلة ومشاهد أنيقة تبرز جمال المدينة ومواقعها التاريخية والأثرية ذات الطابع السياحي الثقافي كما تضم المجموعة بين دفتيها مساهمة ثمانية وثلاثين شاعرا عربيا وأجنبيا ألهمت قرائحهم ربوع روسينا فكتبوا اثنين وخمسين نصا شعريا متفاوتة الحبكة والبناء الشعري على مستوى الشكل والمضمون ومنهم :

- ابن عريّة (600 هـ - 659 هـ)

- هدى صدام - جمهورية مصر العربية .

- Henri Jaques - André des portes de la fosse - Pierre Olivier

من فرنسا .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- محمد فائز القيرواني .

- الصادق مازيغ .

- الهادي نعمان

- المنصف الوهابي

- الشاذلي زوكار .

- الحبيب الزناد .

وتجذيرا لعلاقة العمل الجمعياتي بالكتاب من خلال مسعى ثقافي يقوم على الإلتزام بثقافة الإمتياز والتشجيع على كسب رهان الإبداع تعتزم الجمعية تكريم الشعراء الذين أغنوا المجموعة بقصائدهم تكريسا منها لمسار الفعل الثقافي في صلب منظومة العمل الجمعياتي .

3 - السياحة الثقافية رهان على صناعة الكتاب التونسي :

يقول الشاعر الداغستاني حمزاتوف : " لقد خسرنا الكثير من المعارك بسبب

السيف .. لكننا لم نخسر معركة واحدة بسبب الكتب ... " (مجلة العربي - العدد 426 ماي 1994 ص 24) .

من الطبيعي أن تعنى دولة التغيير بأرساء قواعد السياحة الثقافية في منظومة الإصلاحات الجذرية والمخططات التنموية التي تشهدها بلادنا وأن ترعى مخزون الموروث الثقافي بالصيانة و بسن التشريعات وبرصد الحوافز المالية ضمن مجلة الإستثمارات الموحدة لتشجيع المستثمرين الذين يرغبون في النهوض بالسياحة الثقافية وتطويرها وإدماج منتوجها في مكونات الخدمات السياحية باعتبارها مجالا حيويًا متكاملًا يختزل في صلبة مرجعية آلاف السنين من الحضارات الإنسانية التي تعاقبت على أرضنا الطيبة .

ولإضفاء طابع التحديث والتجديد على منتوجها بعثت جمعية المواقع والمعالم لمعاودة الدور الطلائعي لهذا المجال الحيوي فاقتحمت السياحة الثقافية مجال التنشيط السياحي بالوحدات الفندقية في مرحلة دقيقة من مراحل الإقلاع والرهان العلمي والتكنولوجي أين تبرز مراهنه بلادنا على صناعة الكتاب وعلى تسويقه وتوزيعه على نطاق واسع يحفز الناشرين على طبعه وتقريبه من القارئ لترغيبه في مطالعة الكتاب التونسي والتزود من مناهل العلم والمعرفة وهو ما سعت إليه جاهدة مؤسسات وهيكل دولة التغيير التي تعتنى بانتشار الكتاب التونسي وبالتعريف بشقاقتنا وبتراثنا شرقا وغربا . من ذلك ما تقوم به إدارة المطالعة بوزارة الثقافة من خلال إقامة معارض الكتاب بمختلف جهات الجمهورية ووضعها على ذمة القراء بعناوين مغرية وإخراج مشير ومضامين متنوعة تجمع بين عناصر الإفادة وعوامل الترويح عن النفس .

ولقد أثبتت هذه السنة الثقافية الحميدة إقبالا جماهريا منقطع النظير من مختلف الفئات والأعمار على اقتناء العناوين المتوفرة ومطالعتها وذلك بشهادة الناشرين أنفسهم ولعل إقامة معرض للكتاب يشتمل على خمس وعشرين ألف عنوان بالمركب الثقافي بمدينة باجة في شهر اكتوبر 1998 أكبر دليل على نجاح هذه التجربة .

ولمعاودة جهود وزارة الثقافة تبرز مبادرات أصحاب المؤسسات السياحية

واجتهادهم المتواصل في السنوات الأخيرة في ادماج الكتاب التونسي ضمن فقرات التنشيط السياحي . داخل الوحدات الفندقية على غرار مبادرة السيد عبد الوهاب شعبان الذي بعث مكتبة فندقية بالمركب السياحي الذي يشرف على تسييره بمدينة طبرقة ووضع كتبها على ذمة حرفاء المؤسسة السياحية . وهي مبادرة تتوافق مع شغف الباعث السياحي السيد فرج المؤدّب أحد المولعين بتشجيع العمل الثقافي الذي حرص منذ بعث مؤسسته السياحية في 26 مارس 1994 على احتضان الملتقيات والندوات الفكرية والأدبية والعلمية التي تنظمها الهياكل والمؤسسات الإعلامية والثقافية والجامعية بجهة الساحل التونسي ، كما اجتهد في توفير المناخ الملائم لها لإقامة تظاهراتها في أفضل الظروف . واعتقدنا أنه ليس من باب المفاجأة وغريب الصدفة أن يسألك عملة وإطارات هذه الوحدة الفندقية ذات الطابع السياحي الثقافي عن مواعيد جملة من التظاهرات الثقافية التي حفظت عن ظهر قلب وتحوكت إلى جزء لا يتجزأ من مكونات الخدمات السياحية التي يسدونها بحب وحماس لضيوف مؤسستهم .

على هذا النحو ، ندرك أن السياحة والثقافة قطاعان متكاملان يشتركان معا بخدماتهما المتشابهة ومصالحهما المشتركة في دعم مسيرة التنمية والتأهيل الشامل .

وهكذا تبرز الحاجة الملحة الى التعريف بالكتاب التونسي بأروقة الوحدات الفندقية من خلال تخصيص فقرة يومية من حصص التنشيط السياحي يتحدث فيها المنشط عن إصدارات دور النشر التونسية كما يسعى إلى تعريف السائح الأجنبي بأحد العناوين البارزة مع التفكير في تنظيم مسابقة طريفة تكون مادتها الأساسية الأثر التونسي المكتوب ترصد للفائزين بها جوائز مختارة من أبرز إصدارات المطابع التونسية .

ولتجذير قواعد المسعى الثقافي لدى حرفاء الوحدات الفندقية بالمناطق السياحية نقترح ترغيب السائح الأجنبي في مطالعة الكتاب التونسي المترجم أو المكتوب بلغة هذا القارئ وذلك باثراء رفوف المكتبات الفندقية التي نحث أرباب النزل وأصحاب وكالات الأسفار والباعثين السياحيين عامة على بعثها وإغنائها

بالمؤلفات التونسية المترجمة إلى لغات أجنبية كالفرنسية والانجليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية والروسية ... والعمل على مراعاة الأسواق السياحية التقليدية التي تقبل على منتجاتنا كما نحظهم على إثراء هذه المكتبات بالإصدارات التونسية المكتوبة بتلك اللغات بأقلام تونسية بارزة لتيسير مطالعتها على ضيوف تونس .

والملاحظ أنّ هناك ثلّة من الفنّانين التشكيليين يعرضون أعمالهم على فترات متقاربة من السنة في رحاب المركّبات السياحية ويجدون إقبالا جماهريا مشجعا على معارض لوحاتهم المائية والزيتية حيث يعانقون مدارات الأضواء والظلال برسوم ذات طابع روماني تبرز أشكالها وألوانها رونق تونس الجميلة وجاذبية مواقعها ومعالمها الساحرة من خلال لوحات أنيقة تختزل رسومها أزقة المدينة العتيقة وأرباض الحاضرة وشواطئ المدن الساحلية ومنعطفات المدن والقرى الجبلية والمواقع والمعالم الأثرية بقرطاج وسيدي أبي سعيد الباجي ومكثروشمثو وبلاريجيا والكركان والجبل ودقة وزغوان وسوسة والمنستير والمهدية والقيروان وسببيلة وصحراء الجنوب التونسي بواحاتها الجميلة الغناء وشلالات مياهها الدافقة ونخيلها الباسقات وقصورها الضاربة في القدم ومضاربها الرملية الشاسعة .

واعتقدنا بأن وزارة الثقافة بهياكلها المركزية والجهوية ووزارة السياحة والصناعات التقليدية بمؤسساتها الإدارية والفرعية داخل وخارج حدود الوطن ستدعم بحماس فياض مبادرات أصحاب العزائم الصادقة من أرباب النزل وأصحاب وكالات الأسفار وستشجعهم على بعث مكتبات فندقية لإثراء مكونات المنتج السياحي بروافد الإنتاج الثقافي لخلق مسالك جديدة مشجعة على صناعة الكتاب التونسي وتوزيعه على نطاق واسع لتحقيق معادلة التوسيع الفعلي لمجال السياحة الثقافية بربط الصلة بين مخزون الموروث الثقافي وتقريب الكتاب من القارئ الأجنبي وذلك بلا منازع مسعى العمل الثقافي في تونس السابع من نوفمبر .

قراءة في كتاب " وللتغيير رسالة "

لأحمد الحبّاسي

بقلم : يحي محمد

عندما نتصفح كتاب : " وللتغيير رسالة " للأستاذ المناضل أحمد الحبّاسي ونتأمل نصوصه الأدبية والسياسية الشيقة ندرك أنّ صاحبه مسكون بهاجس كوني شامل ، ونظرة تحليلية لكثير من أوضاع بلاده والدنيا الواسعة بما فيه من ملامح ومطامح وتقلّبات . و"أحمد الحبّاسي " هذا الشاب المفكّر لم يكن سوى ذلك المتتبّع لحركة الكون ومبادرات الرّجال ممّن كان لهم الموعد الحاسم مع عجلة الزّمن ومحطة التّعبير !.

كتاب : " وللتغيير رسالة " صدر في سنة 1992 . (طبع شركة فنون الرّسم والصحافة) . بتونس . تمكّن المؤلّف من التعمّق في الرّسالة التّغييرية بانطلاقه من تتبّع حركة الكون والتّاريخ تلك التي لا تعرف التوقف إطلاقاً . علماً بأنّ هذا الكتاب يقع في (383) صفحة سلك فيه مؤلّفه منهج المتتبّع كما أشرنا والمعقب الباحث في الآن . مع الغوص في استلهام واستخلاص أجمل العبر والموعظة من الظواهر الكونية الخالدة في التاريخ الإنساني .

الكتاب أيضاً صيغ بأسلوب أدبي - اجتماعي - سياسي وبخلفيات فكرية وتاريخية عامّة . إذ لعلّ " أحمد الحبّاسي " بذلك قد قرأ "بيان التّغيير" قراءة متأنية فحص من خلاله بعض الحقائق والأوضاع . وبذلك لمس الحدث ملامسته واعية واصل بها رؤية - سيادة الرئيس زين العابدين بن علي - لاستكشاف معنى التّغيير وأبعاده العامّة مع مافي مكنون الحدث من تراكمات ثقافية - اجتماعية سياسية وتحديات كونية هامة !

المؤلف في سطور :

في ضوء الكلمة البليغة التي قدّم بها الكتاب الأستاذ الشاذلي القليبي الذي ذكر بالمؤلف (أحمد الحبّاسي) الذي ينتمي إلى جيل التحرير الوطني حيث ولد في 2 جانفي 1934 وتربّى في أسرة عريقة في النضال . فجاء كتابه كما قال أستاذنا القليبي عبارة عن : "خواطر مناضل " .. عرف كيف يحلّل فكرة التّغيير بأسلوب شعري وتحليل فكري وتاريخي ...

تكوّن أحمد الحبّاسي في بيئة علميّة ووطنية مكّنته من دخول معترك الحياة بشقة في النّفس إذ خاض وهو طالب معركة إثبات الذات ضدّ المستعمر البغيض ، فسجن وعذب لذلك حين استقلّت البلاد عمل مع الأسرة الوطنية المناضلة في الحزب الحر (التجمع الدستوري الديمقراطي) اليوم.. لأنّه أبرز أفراد هذه الأسرة . كما أسندت له وظائف هامة ثقافية - بعيدد الولايات - وديبلوماسية بوزارة الشؤون الخارجية وخارج الوطن . كما اضطلع بمهام وطنية مختلفة سواء في عضوية اللجنة المركزية للتجمع ، أو تأسيسه لعديد المهرجانات الثقافية والجمعيات المسرحية كمجلة القلم بصفاقس والمعرفة بالكاف وما إلى ذلك .

أصدر كتابه الأوّل (الرحيل) الذي هو عبارة عن قصّة اجتماعيّة غزيرة المضمون ، واعية الشكل الفنيّ - (طبع شركة فنون الرّسم والنشر والصحافة بتونس) والتي جاء فيها قوله : « .. كان الزّمن وحده في تلك الأيّام هو البطل . والنّاس فيه أرقام متغيّرة .. أو حلقات متقطّعة ... سرعان ما يزول أبناء قريتنا فيه بالرحيل والنّفي والموت .. فلا أثر لحاضرهم ، ولا بقايا لواقعهم أو أفعالهم .. إذا استفحل الظلم . أو أرغمت الظروف أحدهم على التصدّي لرد الغوائل ، أو البروز في وجه الطغيان .. » .

ومع ظهور كتابه (ولتتغيّر رسالة) ننتظر منه الكثير في عالم القصّة والبحث والدراسة إذ من مشاريعه المقبلة نشر التّأليف التالية : (1) الصراع العربي الإسرائيلي - (2) قصّة الإيمان في صدر الزّمان - (3) التطرّف الديني والإرهاب في العصر الحديث - (4) تونس وحوار الأجيال .. ومع انتظارنا لهذه التّأليف أو غيرها نرجو أن لا يطول موعد ظهورها حتّى لا تطول فواصل الزّمن بينها .

يحمل الأستاذ أحمد الحبّاسي عديد الأوسمة والشهادات تقديرا لنضاله وجهوده في مجالات متنوعة منها - وسام الإستقلال - وسام الجمهورية - وسام الجلاء .
إذن يبدو أحمد الحبّاسي من خلال هذه الترجمة الشخصية الخاطفة الرجل الملتزم منذ شبابه الذي انبثق فيه بالصدفة الموعد الحاسم للانقضاء على المستعمر وظواهره وهكذا نراه قد أسهم بدوره في سرعة خاطفة لصغر سنّه وتميّزه بالحماس الوطني وبالعامل الميداني التنظيري وبهما معا كتب وفكر ومارس حياة الفعل والجملة الصريحة الواضحة فكان "أحمد الحبّاسي" بفكره ووطنيته وثقافته وسلوكه في نفس الموقع ونفس الإنسان ! بنفس الطّباع والتّطبّع نسبة وسلوكا .. بانصهاره في سلوكيات جيله المتحفّز للحرية وللكرامة ..!

كتاب : " وللتغيير رسالة " جاءت فصوله معتمدة تقريبا مسالك الفهم واختصار المسار الفكري والتاريخي أي أنّه اجتهد في الغوص عبر مخاضات تونس البعيدة والقريبة .. مرجعيّتها كأرض وكيان . وخلفيّتها كأديم كوني يتأثر ويؤثر ...
لذلك نجد بعض فصول هذا الكتاب تشرح منظومة التغيير وفلسفته بلغة واضحة متسلسلة المعاني والدلالات .. وهذا عبر نصوص : (تونس والتاريخ - وإرادة البقاء) - إضافة إلى دور التغيير في حضارة كونيّة أسلم وإسهام تاريخي أفضل .. إلى جانب الإهتمام بمستندات التغيير وعلاماته من تطور الحس السياسي والثقافي المدني للمواطن الذي راهن عليه "البيان" . للإشارة أيضا إلى أنّ قراءة الكاتب للحدث جاءت عبر تأملاته في الحروب والفن والصراعات وعوامل التفجّر والعصيان .. كما تحاور الكاتب مع الإبداع العقلي في أجلى مظاهره الإنسانية في عشقه للنور واختلاجات الوضوح بعيدا عن الظلمة وديجور الظلام وغشاوة الآنام !

إنّ كتاب " وللتغيير رسالة " مصافحة ذكيّة وقراءة جيّدة في مفهوم التغيير عندنا .. جدير بالتحليل والإضافة الجيّدة .. وبمطالعة وتعميق الحوار بشأنه لأنّ مؤلفه قد توفّق في اعتماد أسلوب المعنى والمبنى في دراسة الحدث فكرا وتاريخا وسلوكا ...

إنّ أحمد الحبّاسي في تحمّسه للكتابة في المسألة التّغييرية - ومن خلال الهندسة الفكرية التي اعتمدها في كتابه - يدلّنا إلى أنّ بصمات نضاله الوطني

كانت أعمق الأثر في نوعيّة الشواهد التي اعتمدها ورام البحث فيها واختصارها للقارئ كي يعمل على استخراج الكثير من العناصر والومضات المكملّة للفهم والكتابة الثانية .

من بين فصول الكتاب فصل (الصوت والصدى) الذي كان فصلا عميق الصلة بصاحبه .. فكأنك تقرأ صفحة أدبيّة من صفحات شاعر أو كاتب يغازل الكلمة المسؤولة يعشقها يستبطن ما فيها من دواخل الحس الآخر وبواطن السلوك .. كما أن نصوص : " بلا أشعة " " نواميس الكون " " البعد الكامن في التّغيير " " التّحرير وأشواك الطريق " وغيرها قد عاجلت الواقع المتغيّر (1) في تبسيط أدبي وسياسي إذ لنا أن ندرك قيمة الفقرات التالية للمؤلّف :

" .. كم تكون الأمّة عظيمة بما وصلت إليه بهذه البادرة بالذات ... ذلك أن النقطة الضائعة في محيط الأمم هي أن يتاح لها وأن تجد عند الضرورة من يهدد فيها الأحلام . ويرى الكلوم ... » .

أجل . يمكن لكثير من العبارات والجمل الواردة في أكثر من فقرات نصوص هذا الكتاب أن تحلّل ويضاف إليها من الومضات ما يجعل معيّناتها لا يتوقّف .

إنّ كتاب " وللتّغيير رسالة " يتميز برؤية معيّنة من فهم الرّسالة النبيلة للتّغيير من حيث اشارات الزّمن وعوامل الإقتدار ووضوح التّفكير ودقّة القرار في ضوء ما هو مطلوب من القارئ أن يتمعّنه ويغوص فيه ، وما يكمل كتابته هو بنفسه باعتباره شاهد عصره ، ومحطّة من محطات التّفكير والتّوق نحو الأفضل ولنا عودة لمتابعة القراءة في فهم أبعاد التّغيير من تعدديّة وديمقراطيّة وما إليها من سلوكيّاته وأدواته ومكاسبه (2) .

هوامش :

- 1 - كتاب : " الثقافة والتّغيير الاجتماعي : لإبراهيم صقر - دار بوسلامة للنّشر - تونس .
- 2 - كتاب : " بن علي والطريق إلى التعدديّة " - للصادق شعبان - دار سیراس للنّشر - تونس .

حول بيداغوجيا تدريس الفلسفة

بقلم : محمد المهدي المهري

1 - الهدف من تدريس الفلسفة :

لقد جاء في ديباجة البرامج الرسمية في تدريس الفلسفة بتونس منذ سنة 1975: أن الغاية من تدريس الفلسفة تتمثل في « تنمية الروح النقدي لدى التلميذ وتدريبه على التخلص تدريجياً من الأحكام المسبقة والقوالب الجاهزة وإكسابه منهجية واضحة في التفكير تخول له تحرراً حقيقياً ». وقد وقع تفصيل هذه الأهداف في البرامج الرسمية للتعليم الثانوي المؤرخة في 15 جوان 1998 بما نصه :

« يرمي تدريس الفلسفة إلى :

أ - تمكين التلميذ من التمرس بالحرية بفضل ممارسة التفكير من خلال أعمال كبار الفلاسفة والمفكرين .

ب - تمكين التلميذ من فهم أفضل وتأويل أعمق لما يعرف سلفاً والوعي بذلك وعياً أوضح وأشمل . <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ج - تحرير التلميذ من قوالب الآراء المتداولة ومن سيطرة الأحكام المتسرعة .

د - إعداد التلميذ إعداداً يمكنه من تحصين نفسه تحصيناً يربيه على التبصر في الحكم والثقة في النفس والاعتدال في الموقف والتسامح في التعامل .

هـ - مساعدة التلميذ على الارتقاء ذاتياً من موقف عفوي إلى موقف واع يسند اختياراته فكراً وسلوكاً ويحمله على الإبداع ويقيه التسطيح الفكري والوجداني والإستسلام إلى المجهود الأدنى .

إن أملنا في بلوغ هذه الأهداف لأمر شديد الإغراء لأنها مكاسب في غاية الأهمية ، غير أن الانتقال من النظرية إلى التطبيق ومن رسم الأهداف إلى تحقيقها

* مقال مقتطع من بحث بيداغوجي قمت به ، تحت عنوان : " ما هو دور المفهوم في إنجاز درس الفلسفة ؟ " .

يضعنا أمام مفارقات بيداغوجية عديدة :

كيف يمكن للتلميذ أن يكون حراً في تفكيره عندما نقيده بفهم أعمال كبار الفلاسفة والمفكرين ؟ ثم كيف يمكن التوفيق بين تبعية الأستاذ للتعليمات الموجودة في البرامج وتبعية التلميذ للأستاذ وللمادة ، وبين الغاية المنشودة من التفكير الحر ؟ . وإذا ارتقينا بالتلميذ فوق سلطة المادة وفوق سلطة الأستاذ فكيف نتقي من التجاوزات بخرق حرمة التعليم ؟

(عد إلى مقال : « ما بين الفهم والفكر من مفارقة » ، مجلة الإتحاف عدد 39 سنة 1993) .

2 - بيداغوجيا تعليم الفلسفة :

تعني البيداغوجيا القواعد التي تركز عليها العملية التعليمية ، وهي ترتبط بالكشف عن أفضل الطرق لإيصال المعلومة إلى التلميذ ، بتمكينه من تلقيها وفهمها واستيعابها ثم إتقان توظيفها من خلال التمارين ، وهكذا يتم الانتقال من عملية المعرفة إلى المعرفة العملية ومن هذه إلى توظيف المعرفة .

غير أن المهارة البيداغوجية في الفلسفة لا تركز على "المعلومة" من حيث تمثلها أو استخدامها ، بقدر ما تركز على الآليات الفكرية والنفسية التي تتضافر لتلقي تلك المعلومة أو لخلقها فتتفاعل معها وتنقدها أو توظفها .

والمفاهيم " الفلسفية ليست مجرد وحدات معلوماتية ثابتة وإنما هي مرنة ، متحركة ، يتغير معناها من مجال إلى آخر ومن فيلسوف إلى آخر .

فدور الأستاذ يتمثل في البداية في أن يقنع التلميذ بأهمية "المفهوم" "أولاً ، ثم يمكنه من قدرات فكرية تسمح له باستخراج دلالة المفاهيم من خلال شبكة العلاقات التي تقيدها بمفاهيم أخرى تتحدد معانيها بالتبادل ، وثالثاً ، اكتساب التلميذ قدرات في التحرير لتمكينه من توظيف هذه المفاهيم بطريقة سليمة في المقال الفلسفي ، ورابعاً - وأخيراً - الصعود بمستوى التلميذ إلى حد توليد المفاهيم وإنشائها والقدرة على تقويمها وتعريفها وإقامة المقارنات بينها والتصرف فيها بارادة ذكية وهادفة .

فليس من مهام الأستاذ - إذن - أن « يحشو » عقل التلميذ بمادة متغيرة نسبية النتائج أو أن يمارس عليه سلطة أدبية ومعرفية بغرض إقناعه أو إخضاعه إلى تلقي معلومات ومعارف ، وذلك بدون أن يطلعه على آليات نقدها ، أو يمكنه من فرص لتوظيفها . وعلى أستاذ الفلسفة أن يبين للتلميذ أن أهمية الفلسفة لا تكمن في مادتها وإنما لما توفره للتلميذ من أساليب للنقد وطرق في البرهنة والتقويم . وللعلم ، أن الفائدة الرئيسية التي يجب على الأستاذ أن ينشدها لا علاقة لها بالمادة إلا بشكل جانبي وهامشي ، وتتمثل في : حمل التلميذ على اتخاذ مواقف حرة وجريئة تستمد مشروعيتها من البرهنة وسلامة الحجّة واتساقها مع مبادئ العقل والحسّ السليم لا من المعارف السابقة أو الأحكام البديهية والمسقطة .

فاذا لم تقدّم هذه الأهداف في الاعتبار عند التدريس ، فسيجد التلميذ نفسه أمام نصوص فلسفية تطرح أفكارا ورؤى مجذومة ومقتطعة من أنساقها فتبدو أمامه غامضة متناقضة . وبالإضافة إلى ما ستسببه للتلميذ من إرهاق ذهني غير مجدي فهي ستزرع فيه أخيرا التذبذب وعدم الوقوف على رأي ، كما أنها ستضعف قدرته على اتخاذ مواقف إيجابية من النظريات والأفكار و"ستكسبه" التردد واللامبالاة ، وتضعف لديه الجرأة والشجاعة على اتخاذ مواقف خاصة ومن جهة أخرى لن يقنعه أي موقف ، وأخيرا سيشعر أنه بهذه النصوص الفلسفية سيفقد أشياء ذات فائدة نفسية وعملية دون أن تسدّ هي الشغور الذي سيتركه فقدان الأحكام المسبقة والعادات والعقائد . وعندئذ يحقّ له أن يتساءل باستنكار « ما هي الفائدة من دراسة مثل هذه النصوص ؟ » فان كان الغرض من ذلك : تمثيلها واستيعابها على ما هي عليه من تضارب وتناقض ، فإننا سنغالطه ونقدّم له « اللا - معقول » على أنّه « معقول » ، وهذا خطر ، كثيرا ما يقع فيه أستاذ الفلسفة ، إمّا نظرا لكثافة المادة الفلسفية ، أو لجديته المفرطة في تعامله مع الفلسفة كمادة ، أو لتعصبه المذهبي (كالماركسي مثلا) ، أو استجابة لشروط الامتحان فيها ، أو لنوعية النصوص المختارة التي تكون إخبارية لا برهانية ولا إنشائية * .

* إنشائية من الإنشاء وهو الخلق ، والنص الإنشائي هو الذي يحتوي على أفكار جديدة كلّ الجدة من حيث التأسيس عندما يأتي بتفسير أو تعريف جديدين ومن حيث النقد عندما يكشف عن أخطاء ، أخذت مأخذ اليقين .

والمؤسف أن الغالب على النصوص أنها تعطي معلومات بشكل سردي .

3 - أهمية الفلسفة لا تلتبس في مادتها :

إذا كانت المواد العلمية والأدبية تحمل فائدتها في ذاتها باعتبارها ذات قيمة مفيدة يؤيد نجاحاتها الرأي العام والخاص ، فإن أهمية الفلسفة لا تلتبس في مادتها ، وإنما في تنمية العادات الفكرية والملكات الذهنية المرتبطة بطرق تحليل المعلومة ونقدها والكشف عن مختلف علاقاتها ومستويات تكوينها ، لذلك اعتبرت المعرفة الفلسفية كذريعة للتفكير وليست لغاية التحصيل ، فالمادة تستحضر كوسيلة لمقاصد تتجاوزها وتتمثل في تحسين مختلف القدرات الذهنية : (قدرة التلميذ على الفهم ، قدرته على التقويم ، والمراجعة النقدية ، قدرته على تنظيم أفكاره ولم شتات معارفه ، قدرته على التحليل والتركيب ، قدرته على البرهنة بالإستنتاج أو بارجاع النتائج إلى مبرهنات ، قدرته على توظيف المفاهيم أو خلقها ، قدرته على التمييز بين طرق الإقناع وأنواع الخطابات .. إلخ) .

فلو كان الأستاذ يهمل هذه الأهداف ويوظف درسه وطاقته لخدمة مادة فلسفية متشعبة ومتناقضة ، أو أنه يرغب التلميذ بطرق وأساليب مختلفة ، على أن يأخذ برأي دون رأي ، ويقنع بفكره دون أخرى ويناصر قضية ويبطل القضية النقيضة ، ويلزمه بأن ينظر إلى المسائل من وجهة نظر ويهمل الأوجه الأخرى ، فالأستاذ لا يضع نفسه - بهذا العمل - في مواجهة مع التلميذ فقط (- لأنه لا شيء يقنعه بأن هذه البضاعة المختلطة وعسيرة الهضم وصعبة التوظيف ... ذات فائدة ويمكن أن تحل محل ما لديه من أفكار ومعتقدات وآراء وأحكام مسبقة تجدد مركزها في المجتمع ويؤيد نجاحاتها الجميع) ، ثم يضع نفسه أيضا في مواجهة المجتمع الذي سيظن أن المادة الفلسفية هي الفلسفة عينها ، وهذه المادة لو تم تعلمها فإنها ستسلب ذات "أهمية" ولا تعطي شيئا .

لهذه الأسباب فإن الأستاذ سيجد التلميذ منذ الوهلة الأولى متسلحا بالرفض والاستهزاء ، وأخيرا يجد الأستاذ نفسه في مواجهة مع التفكير الفلسفي ذاته فيسقط في التناقض والإضطراب والخلط بين الفكر والتفكير بين " الحكمة "

ومقتضيات الخروج عنها (1) : نجد الأستاذ في كثير من الأحيان يحذر التلميذ من الأحكام المسبقة ثم يزوده بمجموعة منها ويقدمها على أنها الأصوب بل الحقيقة، وينتقد عقائد وأوهام وخرافات ثم يقترح عليه أخرى ، وهو يمتدح المواقف الفلسفية الحرة والجريئة ومن جهة أخرى يحط من أهمية موقف التلميذ ويحاسبه حسابا عسيرا لأنه لم يجاريه الرأي . فهذا الأستاذ عوض أن يهتم بتنشيط قدرات التلميذ الذهنية وتمكينه من استقلالية التفكير وحرية اتخاذ المواقف ، فهو بعكس ذلك يرهقه بكم هائل من المعلومات الموجهة في إطار غايات لا هي بيداغوجية ولا فلسفية ولا حتى تعليمية وإنما ديماغوجية ، تدجينية ، دغمائية ، فلن يكون موقف التلميذ منها في أحسن الأحوال إلا أن يتلقن ظرفيا استجابة لشروط "النجاح" في امتحان آخر السنة ، وهو في حقيقة الأمر يقابلها بعزوف نفسي وعقلي . ثم إنه لا لوم على الأستاذ إذا "صادف" وإن كانت طريقة تدريسه تتفق مع البرامج الرسمية وظروف الامتحان ونوعية النصوص المختارة التي غالبا ما تكون إخبارية أو علمية أو وصفية أو قدحية أو مدحية ... ونظام الدعم فيها يسمى خطأ بنظام البرهنة عند أهل الاختصاص (2) . وشتان بين النظامين . وهكذا تكون الهوية سحيقة بين وسائل التطبيق وبين الأهداف المرسومة والمسافة شاسعة (وربما على طرفي نقيض) بين الموجود والمنشود .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فلو تجاوزنا عن شطط قضية اختيار النص وافترضنا أننا إزاء نصوص فلسفية حقيقية فإنه ستعترضنا مشكلة أخرى أساسية تتمثل في كيفية إبراز القيمة التي تحتلها « المفاهيم » في النصوص الفلسفية والتي تقوم مقام الفروض في الأنساق العلمية . وأعتقد أن هذه القيمة تتحدد انطلاقا من أربع مهارات (أو قدرات) :

أ - تمكين التلميذ من القدرة على فهم النص الفلسفي ، وذلك بتنبيهه إلى أهمية "المفهوم" ، وكيفية التمييز بين المفاهيم المحورية والمفاهيم الفرعية ، وبين المفاهيم في سياقها الفلسفي والمفاهيم في سياقها العلمي أو الفني أو الأدبي .. إلخ . ثم التعرف إلى العلاقة الرابطة بينها . وهذا يمكن التلميذ من الإكتفاء بمحتوى النص لفهمه .

ب - تمكين التلميذ من التحليل والتأليف والتقويم والاستنتاج ، وذلك بتبيين معنى

"المفهوم" من خلال السياق الوارد فيه ، ثم إعادة ترتيب هذه المفاهيم بطريقة مختلفة عن تلك التي جاءت في النص ولكن أكثر وضوحاً وتبسيطاً ، أما جزء التأليف فيقوم أساساً على تركيز الأسلوب اللغوي المنسجم مع بنية المقال الفلسفي (3) .

ج - توجيه التلميذ بواسطة الأسئلة للكشف عن المواقف الفلسفية الواردة في النص والتي تحمل طابع الحرية والجرأة ، ثم تشجيع التلميذ على اتخاذ موقف خاص يدعمه بالحجة ويدافع عنه عقلياً . وذلك بتمكينه من طرق الحجاج والبرهنة والاستدلال والتمييز بين العقلي منها والأدبي أو الخطابي أو السفسطائي ... إلخ .

د - تمكين التلميذ من القدرة على الاستفادة من هذه المفاهيم بتوظيفها في المقال الفلسفي أو في خطابه وتنبيهه إلى مختلف السياقات التي يمكن أن تستخدم فيها بدلالات تستمد معناها من تنوع البنى حسب ما يجمع المفاهيم من شبكة علاقات .

4- في معنى "النص" و "القراءة" :

النصوص هي حوافز ومثيرات لتحريك حيرة التفلسف لدى التلميذ والدفع به نحو التحرر الفكري من قيود الرأي السائد. وكلمة نص Texte بالفرنسية ترجع إلى أصل لاتيني Textus وتعني النسيج ، وفعلها Texere أي ينسج (4) . فهو إذن نسيج الكلمات المنظومة والمنسقة في خطاب تألفي .

وينطوي مفهوم النص على رسالة مكتوبة ومركبة كالعلامة اللغوية : فمن جهة نجد الدال (مادية الحروف وتسلسلها في كلمات ، جمل ، فقرات ، فصول ..) ومن جهة أخرى ، المدلول ، وهو معنى أصلي أحادي الاتجاه ، قطعي ، تحدده صحة المعلومات التي تنقله (5) . وقد قالت ج . كريستيفا في تعريف النص : « نعرف النص بأنه جهاز نقلي لساني يعيد توزيع نظام اللغة ، وأفعال الحديث التواصلي »

وكي يكون النص فلسفياً فهو يستوجب نظاماً من البرهنة أو من الجدل والحجاج كالنصوص الموضوعية في إثبات الموضوعات الميتافيزيقية أو الوجودية أو في نفيها باعتماد الجدل أو الحجج العقلية ، أو يكون النص الفلسفي إنشائياً ينطوي على

تناول لقضية أو تعريف لمسألة أو لأطروحة بطريقة فيها الكثير من العمق الفكري والإبداع ، وهذا يختلف كثيرا عن النص الإخباري أو التاريخي حيث يعتمد الأسلوب السردي الحكائي ، والنص الأدبي حيث يغطي اللفظ على المعنى والأسلوب على الفكرة والمقصد الذاتي على المنطق الموضوعي ، وكذلك يختلف عن النص الوصفي : العلمي أو الفني ، ناهيك عن النصوص التي تقال في القدر أو المدح أو المقارنة المعيارية القيمة أو النصوص التي توافق هوانا ورغباتنا وتستجيب لنزواتنا أو حميتنا ونعرتنا كالنصوص الخطابية أو معظم النصوص المقتبسة عن الكتابات الماركسية ، أو النصوص السياسية لأجل الإعلام والدعاية والإطراء أو التشهير و"التدجيل" .. إلخ .

- ولقد كانت النظرة إلى النص متأثرة بما يوحى به اشتقاق اللفظ (كما أسلفنا) على أنه "نسيج" ، لذلك اتخذ "حجاب" يجب الذهاب وراءه والحفر فيه . بحثا عن "الحقيقة" ، وعن مضمون الرسالة الجوهرية واستجلاء الدلالة والمعنى .

إلا أن النظرية التي يقترحها رولان بارت للنص ، متأثرة بالزرعة البنيوية ، فهي لا تعبر أهمية للنص الحجاب ، وتسعى لاكتشاف النسيج وهو في حالة تشابك الأنظمة ، الصيغ ، الدوال ، وهي المحددة للعلاقة بين المفاهيم ، وفي هذا النسيج يتموضع الفاعل ، وهكذا تنتقل من البحث عن المعنى إلى الكشف عن آلية التمعين La signifiante ، أي تحويل النظر من البحث عن ممكن لدلالة موضوعية ، تظهر وكأنها محنطة في الأثر المنتج إلى النص كانتاج ، حيث يكون مناسبة لفضاء متعدد المعاني الممكنة ، فالتمعين هو مرافعة يستطيع "فاعل" النص في غرضونها هاربا من منطق الأنا المفكرة المدركة ، ودالفا إلى أنواع أخرى من المنطق (5) .

فكل نص فلسفي ينطوي على موقف ، ويحتاج إلى أن يتعامل معه بطريقة ما ، وبأسلوب إرادي حر ، فإذا ما اعتبرنا النص كما يقول ب . ريكور : « هو كل حديث جعلته الكتابة ثابتا » (16) . نعرف أن التشبيث يأتي بواسطة الكتابة مكان الكلام بالذات ، والقارئ يحل محل المحاور ، كما أن الكتابة تحل محل العبارة والمتكلم ، غير أن القارئ غائب عن فعل الكتابة ، والكاتب غائب عن فعل

القراءة ، وهكذا يتسبب النص في تغييب مزدوج : تغييب القارئ والكاتب ، أما النص فيحلّ مكان علاقة الحوار ، التي تربط صوت الأوّل بسمع الثاني ، وهذا ما يفسح المجال لامكانيات متعدّدة لفهم النص وما يشرع لعملية التأويل . فلا وجود لنص بدون إحالة إلى مرجع .

من هنا بالضبط ، ستكون مهمة القراءة - باعتبارها تأويلا - هي إقامة الإحالة وتأسيسها . ففي حالة الحوار الشفوي يكون المتحاورون حاضرين بالنسبة إلى بعضهم البعض ، إضافة إلى وجود وضعيّة خاصّة (يتمّ فيها الحوار) ، ووسط معيّن ، وظرفيّة تحدّد زمان الخطاب ومكانه . فالخطاب يحيلنا إلى واقع مباشر يمثل ظروف إرادة الخطاب . أمّا إذا ثبت الخطاب في نصّ فإنّ الإحالة تتغيّر في اتجاهها ، فيصبح النصّ في علاقة إحالة مع نصوص أخرى ، التي تأتي لتحلّ محلّ الواقع الزماني والمكاني الذي يشير إليه الكلام الفعلي الحي .

ويذكر ب . ريكور طريقتين ممكنتين للقراءة : القراءة طبقا للموقف التفسيري ، كأن نتخذ من العالم الفعلي المحيط مرجعا يحيلنا إليه فعل القراءة ، وإمّا أن نعتد على بنية النصّ في حركيته نحو الدلالة ، وهو الموقف التأويلي ، وهو حسب ب . ريكور يشكّل الوجهة الحقيقيّة لفعل القراءة . وإذا كانت القراءة ممكنة فلأنّ النصّ ليس مغلقا على ذاته ، بل يكون دائما مفتوحا على شيء آخر . أن نقرأ يعني أن ننتج خطابا جديدا وأن نربطه بالنصّ المقروء ، وهذا الارتباط بين الخطاب القارئ والخطاب المقروء ، يكشف - ضمن التكوين الداخلي للنص - قدرة أصيلة على استعادة الخطاب لذاته بشكل متجدّد ، وهي التي تعطي خاصيّة المفتوحة على الدوام ، والتأويل هو النهاية الفعلية لهذا الارتباط ، وهذه الاستعادة المتجدّدة (6) .

فالنصّ الفلسفي يحيلنا بالضرورة إلى البحث عن القوالب المنهجية ، وطريقة البرهنة والصيغ اللغوية ، التي يصبّ فيها التفكير الفلسفي بشكل عام ، والتعبير الفلسفي بشكل خاص ، ويمكن من إيجاد الصيغ النظرية وطرق البحث التي تقترن مع مستويات استخدام المنهج الفلسفي . وهو في الوقت ذاته يظلّ نافذة مطلّة على الثقافات الإنسانية والطريقة المثلى للتوليف بينها وجمع ماضيها بحاضرها ، وبعيدها بقربها ، ويتيح للباحثين والدارسين إمكانيّة

التوسّع في البحث والتنقيب عن مآثر الفكر العالمي ، ويلزم القارئ أو الدارس في مقابل ذلك بالعودة إلى الأصول والمصادر التي نما وتطوّر فيها هذا الفكر أو ذاك ، وبالتالي يمكن من تشكيل نظرة نقدية فاحصة حول مبادئ الحضارة ، وقيم العقل من الناحية الإبيستيمولوجية ، ومحدداتها الشكلية والخطابية وآفاقه المستقبلية ويكشف النقاب عن الإشكاليات الفلسفية وصورها المعرفية والعلمية .

5 - المفهوم وتدرّس الفلسفة :

يبقى المشكل الأساسي الذي يسترعي اهتمام الباحثين في مجال بيداغوجية تدريس الفلسفة يتمحور حول كيفية استثمار النص الفلسفي ومن خلال ذلك تهذيب وتطوير القدرات الفكرية للتلميذ . ثم إذا كان مفتاح النفاذ إلى فهم النظريات الفلسفية بصورة عامّة والكشف عن خفايا التفكير الفلسفي ومقاصده ووسيلتنا للتمييز بين ما هو فلسفي في التفكير وما هو غير فلسفي يتمثل في مشكلة الحكم (7) فإن مفتاح الفهم في النص الفلسفي هو "المفهوم" .

جاء في كتاب "ما هي الفلسفة ؟" ، لـ ج. دولز وف . جاتاري أن "الفلسفة بكلّ تحديد هي نظام يركّز على خلق المفاهيم" فكلّ نصّ فلسفي هو عبارة عن نسيج من المفاهيم ، وهو يشكّل في حدّ ذاته بنية ، كما أنّ المفهوم داخله عبارة عن نص مكثّف يجمع جملة من الدلالات والمعاني ، التي تكون هي نفسها مفتوحة على إحالات إلى نصوص ورؤى فلسفية أخرى ، فالفلسفة ليست معرفة تأملية محضة لها إحالات واقعية كما كان يعتقد ، وإنما هي حسب ما ذهب إليه "دولوز" (8) . ولا يوجد مفهوم بسيط بل لكلّ مفهوم مكونات . والمفاهيم تعرف معانيها بحسب تراتيبها بالنظر إلى بعضها البعض ، كالأرقام في أنظمة الأعداد أو كالرتب العسكرية في نظام الجيش : فمفهوم "الآخر" ، مثلاً ، يعلم في المرتبة الثانية بالنظر إلى مفهوم يأتي في مرتبة يسبق العلم بها ، هو مفهوم "الأنا" .

لذلك يجب على مدرّس الفلسفة (ودارسها) أن يكونا على دراية كافية بأهمية "المفهوم" ، ليس باعتباره الحجر الأساس في بناء النص الفلسفي فقط بل باعتباره أيضاً المفتاح الذي يمكن القارئ من فتح ما أغلق من النصوص الفلسفية ، والمعبر الذي لا بدّ منه لفهمها وتوظيفها ، ثم هو الأداة الأساسية التي ، إن تمكّن

التلميذ من القدرة على تقديرها في سياقها ، والتحكم في استعمالها ، ثم في الأخير تغليب الإرادة الحرة في توظيفها توظيفا هادفا ، فإن التلميذ سيتمكن من الروح الفلسفية والمسك بزمام التفكير .

تعتبر المفاهيم المحورية في النص بمثابة المفاتيح التي بواسطتها يلج التلميذ إلى أفكار الكاتب ومقاصده. ويعتبر الكشف عن شبكة المفاهيم عملية أساسية لتمثل قضايا النص. والتلميذ الذي سينجح في إتقان هذه الطريقة، ستقع حمايته : أولا : من التسيب المفهومي الذي يوقعه في "السقسقة" اللفظية ، والعبارات البراقة الخالية من المعنى .

ثانيا : من التفكير الجوهراني والتشخيصي والمشدود إلى الحدس الحسي .
ثالثا : من الاعتقاد في ثبوتية معاني المفاهيم واندرج كل منها في ماهيات فكرية ثابتة لها ما يقابلها في الواقع فتتطابق مع حقيقته .

رابعا : من التعامل مع المفهوم كمجرد كلمة خالية من القيمة الفكرية المجردة .
وبالإضافة إلى ذلك سيكسب التلميذ باتقان هذه الطريقة القدرة على التحكم في المفاهيم ، وذلك بالتمكن من فهمها انطلاقا من النص المتضمن لها ، ثم توظيفها أو نقدها ، أو إعادة تنظيم النص وتمثله انطلاقا منها .

وهذه الطريقة تفيد كثيرا في تفجير معاني النص من الداخل ، دون أن يجد نفسه في حاجة أكيدة إلى إنارة خارجية بالالتجاء إلى معلومات أخرى أو نصوص تضاف إلى النص الأصلي ، بل يكفي أن ينتبه التلميذ إلى العلاقات حتى يتبين دلالة المفاهيم من بعضها البعض ، فيغدو معناها مرتبطا بمكانتها من النسق العام الذي يمثل بنية النص . وهكذا يفهم التلميذ ، أن "العقل" الذي يعنيه أفلاطون - مثلا - ليس هو "العقل" الذي يعنيه أرسطو ، وأن مفهوم العقل في التصور المثالي ، ليس هو نفسه في مدارس وتيارات مادية أو تجريبية ، وقس على ذلك كل المفاهيم الأخرى .

فالنظرية الفلسفية لا يوجد لها الفيلسوف لخدمة المفاهيم ، بل بالعكس من ذلك ، إذ لكل مفهوم داخل نظرية ما وظيفة وموقع ، وليس له من دلالة مخصوصة إلا في نطاق تلك الوظيفة وذلك الموقع ، فاذا غيّرنا فيهما تغيرت دلالة المفهوم

حتي وإن بقي الاسم الذي يشير إليه هو هو لم يتغير .

فلو أخذنا - مثلاً - مفهوم "اللاوعي" سنجد أنه قد وقع استعماله في معاني مختلفة ووظف طبقاً لأغراض متباينة . ذكر "ليبنيتز" في كتاب تأملات حول المعرفة : لناخذ كل عبارة على حدة ، وسنرى أن المعرفة (أو الوعي العارف) لأفكارنا لا يمكن أن يكون أبداً كاملاً ، ويتضمن دائماً عنصراً من "اللاوعي" ، وفي "مقدمة محاولة جديدة ، حول الفهم الإنساني يقول : "الروح تفكر دائماً ، ولكنها لا تكون دائماً على وعي بما تفكر" ، فنحن نمرّ بدرجات متصلة من الأفكار اللاواعية إلى الأفكار الواعية التي لا روية فيها ومنها إلى الأفكار الواعية التي فيها روية .

وقد استخدم Schopenhove كذلك مفهوم اللاوعي ، يقول : إن عقلنا هو لعبة للإرادة التي تضلّه حول أسباب وأهداف سلوكنا ، ونعتقد أننا نخدم أغراضنا الخاصة ولكن نكون في الحقيقة مخدوعين بارادة عمياء للطبيعة .

وعندما أخذ فرويد بمفهوم "اللاوعي" ، فإنه قد انتزعه من التأمل والإستخدام الفلسفي لبيني عليه نظرية علمية ، أفادت في معالجة أمراض العصاب ، كما أن فرضية "اللاوعي" وما استتبعها من نتائج قد غيرت في تصوّرنا للإنسان .

وقد أنجز فرويد ذلك ابتداءً من نظريته الأولى 1900/1920 ، عندما أكد في كتابه مدخل إلى التحليل النفسي على الصراع القائم بين الوعي واللاوعي بين الأنا العاقل ، الإرادي والأخلاقي ، والغرائز كمصدر للعصاب ، ويميّز فرويد بين ثلاث أنظمة نفسية - الوعي ، والقبل وعي ، واللاوعي - وهذا الأخير خفي تماماً ولا يمكن استدعاؤه من قبل الوعي ، وهو يتعاظم باستمرار ويتفاقم تأثيره من جراء سيرورة الكبت .

ويتبلور أكثر تصوّر فرويد لمفهوم الـ "لاوعي" في نظريته الثانية 1923 حيث تحوّل الإهتمام من "اللاوعي" المكبوت نحو الـ "أنا" الكابت ، واتّضح له أن النشاط الكابت للأنا هو كذلك نشاط لا وعي . وهذه "الحقيقة" تفسّر أن الفرد عندما يكبت نفسه يجهل ما يفعل ، ولا يدري ماذا يكبت بالضبط . والأنا يدافع عن نفسه ضدّ "عودة المكبوت" بآليات للدفاع لا يعرف هو نفسه طبيعتها ، وهذا دليل على أن نشاط الأنا لا يتّصف كلية بالوعي ، بل يغمر اللاوعي جزءاً هاماً

منه ، ومفهوم الأنا لم يعرف قبل فرويد مثل هذه الإضافة في إبراز علاقة المحاشية والتلازم بين الوعي واللاوعي .

فما يجب التأكيد عليه - إذن - في نهاية هذا المقال ، أن المفاهيم غير بريئة وإنما تحمل مقاصد وأغراض واضعيتها وتتطور وتتكامل في اتجاه أهداف ذاتية أو موضوعية أو سياسية اجتماعية تكون ظاهرة أو خفية . وهي تتحول وتتغير معانيها ودلالاتها بتغير هذه المقاصد واختلافها . كما أن هذه المفاهيم تستقل وظائف مختلفة من نسق معرفي إلى نسق آخر .

ويجب توجيه التلميذ إلى العناية بالمفهوم من حيث هو مفتاح التفكير والإنتاج الفلسفي ، لا باعتباره يمسك بالوجود الحقيقي ، بل باعتباره وظيفة ، الافتراضية / الإستنتاجية ، في بلورة التفكير وحصر مجالات المعرفة وتحليلها ونشرها ونقدها وإعادة حصرها وتطويرها .



ARCHIVE

الإحالات :

- 1 - راجع مقال في تحليل نص فلسفي "في البدء كان النفر من الحكمة" لـ جيل دولوز - العدد 57 مارس 1995 من مجلة الإتحاف ، كان مدرجا في الكتاب المدرسي بتونس .
- 2 - نظام الدعم يعني الوسائل الأدبية المستخدمة من تراكيب وألفاظ مختارة وأمثلة ومجازات وتشبيه واستعارة (وهي تخص النص الأدبي) .
- أما نظام البرهنة فيعني وضع مقدمات واستنتاج نتائج أو استنباط المقدمات من النتائج واعتماد برهان الخلف لإبراز التناقض أو الإلتجاء إلى الفروض العقلية لتنظيم طريقة في الحجاج والجدل العقلي (وهي تخص النص الفلسفي والمنطق الرياضي) .
- 3 - راجع بهذا الخصوص ما جاء في عدد 69 - ماي 1996 من مجلة الإتحاف تحت عنوان : المقدمات الأسلوبية الإتيقان والمنهجية " .
- 4 - معجم مصطلحات الأدب - د . مجدي وهبة ، مكتبة لبنان 1974 ص 566 .
- 7 - راجع مقال " المفتاح في فهم الفلسفة " ورد في مجلة الإتحاف العدد 79 - ماي 1997 .
- 8 - " ما الفلسفة ؟ " ص 9

في أساليب تراجع تربية الجمال بالظاهر التونسي

بقلم : محمد بالراشد

تقديم :

تعتبر منطقة الظاهر التونسي ، المتاخمة للصحراء ، خصوصا في جزئها الجنوبي ، فضاء مناسباً لتربية الإبل . باعتبار أن هذا النوع من الحيوان قادر على التأقلم مع المناخ الصحراوي وبالتالي فهو قادر على العيش في الصحراء لما له من خصائص فيزيولوجية تجعله يتغلب على مخاطرها .
فالجمل يقدر على الصبر لمدة طويلة - قد تصل الأسبوع - بدون ماء بالرغم من حرارة الطقس وخصوصا في الصيف . وقد منح السنام الجمل قدرة على الخزن لا تتوفر لغيره من الحيوانات . هذا فضلا عن كون الجمل وبخلاف الأحمرة والبغال والخيول تنتهي ساقه بخفّ يسمح له بالتنقل فوق رمال الصحراء دون أن يغوص فيها ودون أن تعيقه على المسير ولذلك وضع عبدالرحمان بن خلدون الجمالة وهم الذين يعتمدون على الإبل في معاشهم . ويطلق عليهم لفظ " الأباله " - في أقصى "سلم البداوة" . كما يسمح شق شفة الجمل العليا لهذا الحيوان بتناول النباتات الشوكية مثل السدر والقتات .

لكن ما يشير الإنتباه هو أن المتنقل في فضاء الظاهر يلحق تراجعاً في عدد قطعان الإبل . وبذلك يكون من البديهي التساؤل عن أسباب هذا التراجع ؟ ماهي العوامل التي تقف وراء ذلك ؟

لتبيين هذه العوامل التي أدت إلى تقلص تربية حيوان الجمل - سفينة الصحراء ، نرى من الضروري التعرّيج عن استخدامات البدوي لهذا الحيوان .

1 - استخدامات البدوي للجمل :

يستعمل البدوي الجمل لنقل أمتعة عائلته أثناء ترحال هذه الأخيرة وراء القطيع بحثا عن المرعى . وذلك أن الجمل قادر على حمل حوالي 250 كلف . ويوفر حيوان الجمل للبدوي الوبر الذي هو مادة أولية رئيسية لصناعة الخيام . في ذات الوقت يعدّ حليب النوق مادة غذائية مهمة بالنسبة إلى البدوي رغم أن طعم هذا الحليب تغلب عليه الملوحة . دون أغفال استغلال هذا الحيوان في الحراثة . وهو ما يعني تعدّدا في الوظائف التي كان يقوم بها الجمل في حياة الرعي . وهو الذي استعمله الإنسان لأول مرة سنة 1100 م .

2 - الجمل في منطقة الظاهر التونسي :

أشرنا في التقديم إلى خصوصية قطاع الظاهر التونسي بما يجعله ملائما لتربية الجمل . ولعلّ السبب الرئيسي في ذلك ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله « إذ الإبل أصعب الحيوان نصلا ومخاضا وأحوجها في ذلك إلى الدفء فاصطروا - أي البدو - إلى أبعاد النجعة » (2) بمعنى أنهم « أكثر ظعننا وأبعد في القفر مجالا » (3) .

لهذه الأسباب الطبيعية من ناحية ، والخاصة بحاجيات الحيوان نفسه من ناحية ثانية وبالإضافة إلى حاجة البدو لهذا الحيوان ولنتوجاتها عرف الظاهر إنتشار القطعان الإبل والدليل على ذلك أنه عرف بناء مفاهيم خاصا بهذا الصنف من الحيوان .

1 - مفاهيم أساسية :

لرعيان الإبل بالظاهر بعض الخصوصيات ، حيث يتمتعون بنوع من الإستقلالية

على صعيد المصطلحات . ولعلّ أبرز هذه المصطلحات المتداولة بينهم :
 أ - العزيلة : هي قطع الإبل ، يجمعها الأهالي بـ « ركيّب وكذلك « عزل » وقد
 أحصينا خلال فترات تنقلنا في المنطقة حوالي ست « عزل » .
 وتجمع العزيلة بين 100 و 200 ناقة ومعها فحلان (جمالان) . ويقودها عادة
 راعي أو راعيان ويسمّى هذا الراعي بالحزاي .
 ب - الحزاي : هو راعي الإبل . وعادة ما يكون لكلّ عزيلة راعيان اثنان تتراوح
 أعمارهما بين (15 - 60 سنة) . ويرافق هذان الرّاعيان العزيلة في تنقّلاتها
 ويحفظان المواليد في فصل الشتاء من الحيوانات المفترسة كالذئب . كما يرضعان
 "التلاد" أي المولود وذلك حسب عبارة "الحزاية" (جمع الحزاي) .
 ويتولّى الحزاي كذلك وسم صغار الإبل بحضور أصحابها حيث لكلّ عرش سميته
 الخاصّة التي عادة ما تكون نوعا من الرّسم الذي يثبّت على فخذ الجمل .

وعرف عن الحزاي ، سرعته ، حيث يتمتع بقدرّة كبيرة على الجري ، وهو عادة
 ما يأكل التمر ويشرب حليب النّوق وذلك بعد أن يكون المولود "الحوار" قد بلغ
 الأشهر الستة . لذلك يعد الحزاي إلى صنع "شمال" (نوع من الخيوط المتشابكة)
 للنّوق حتّى يتمكن من منع صغارها من الرضاعة وبالتالي يتمكن من حلبها .
 ومن الخصال الأخرى التي عرفت عن هذا الصنف من الرعيان ، إلى جانب الصبر
 التمتع بفراصة قويّة إلى حدّ يستطيع معها التمييز بين النّاقة والجمل ، وبين النّاقة
 "اللقحة" - أي الحامل - وغير "اللقحة" . ويربط الراعي بأصحاب الحيوانات عقد .

2 - العقد :

يمتدّ العقد على حول كامل ، عادة ما تكون بدايته ونهايته متزامنة مع نهاية
 عقد رعاة الأغنام الذي هو يوم الجزّ وتحديدًا يوم "الخوطة" أي يوم جزّ الفحولة .
 على أن بعضا منهم - أي من رعاة الإبل - يجعل بداية ونهاية الحول بداية فصل
 الصيف . ويشارك التوجّهان في أن يعلن "الحزايان" عزمهما على تجديد العقد أو
 إنهائه في أواخر فصل الشتاء وبداية فصل الرّبيع وذلك عندما يقدم المالكون

"للعزيلة" ليسمون إلى جانب الرعيان صغار الحيوانات . وينصّ العقد على تحديد المدة التي هي بالضرورة حول كامل وبالتالي فالعقد حولي وليس شهرياً أو نصف سنوي . كما ينصّ العقد على المقابل الذي يتقاضاه الرعاة . وقد كان هذا المقابل في أواخر الستينات ثمنه شعير (13 كلغ) و500 فرنك للرأس . ولكن هذا المقابل عرف تغيراً نوعياً في طبيعته إذ صار نقدياً ويتراوح بين 30 و50 ديناراً للرأس الواحد . وهكذا عرف العقد تحولاً في نوعيته . ولكنه لا يزال شفوياً ، حيث لم يوجد إلى اليوم عقد مكتوب بين المالكين والرعاة والكل يبرّر ذلك « إنّ الحيوانات إذا قطعت منها البركة لا فائدة منها » .

3- تراجع تربية الجمال بمنطقة الظاهر التونسي :

مقارنة بين عدد الجمال في بداية الإستقلال الذي قدر آنذاك بـ 250 ألف رأس وعددها سنة 1991 المقدّر بـ 80 ألف رأس (4) نتبيّن من خلال هذين الرقمين حجم عمليّة التراجع التي عرفتتها تربية الإبل في تونس بصفة عامّة . وبما أنّ المناطق المتاخمة للصحراء هي أكثر الجهات أهميّة في هذا النشاط ، فيمكن القول أنّ هذه الجهات هي التي عرفت التراجع الأهم في هذا الميدان . وخلال تنقلنا في فضاء الظاهر التونسي لمسنا لدى من تبقى من الرعيان الذين تمّت مقابلتهم على تقلص أعداد الإبل . بل إنّ بعض الرعاة يرى أنّ الأجيال الصّغيرة اليوم ستتعامل مع هذا الحيوان تماماً كما يتعامل معه السيّاح الأوروبيين . وفي المقابل يتفق هؤلاء الرعاة على أنّ أسباب تراجع تربية حيوان الجمل تكمن في النقاط الآتية :

* المكننة :

الآلة أو التكنولوجيا . حيث عوضت هذه الوسائل الجمل في حمل الأثقال ، وتحديدًا في حمل الأدباش والأمتعة والتنقل بل عوضته وحلّت محله حتّى في الأعمال الفلاحيّة كالحرّثة ، إذ لم يترك الجرّار مثلاً مجالاً لم يلجّه وكان إلى جانب الشاحنة البديل الكفء للجمل .

* تراجع بيع لحم الجمل :

يبدو تراجع بيع الجمل دليلا على تغيير في العادات الغذائية للإنسان وإن لم يكن الهدف من هذه الدراسة البحث في عملية التحول هذه فإنه من الجدير التذكير بأن عملية منع ذبح الإبل في تونس ماعدا الحيوانات المسنة لم يمنع هذه العملية منعا باتا ، بل يكفي التجول في الأسواق مجرد التثبت في واجهات المجازر ليتأكد من ذلك . إلا أنه من الضروري التأكيد على أن الإقبال على شراء لحم الجمل يظل اليوم إقبالا محدودا ، وذلك بسبب غزو لحم الأبقار لفضاء كان سابقا حكرا على الضأن والماعز والإبل . وكذلك بسبب تفضيل الأهالي للحم الضأن والماعز.

* ضعف المردودية :

أمام تغلغل اقتصاد النقد في الريف التونسي ، وأمام سيطرة مقولة الربح على ذهنية أناس كانوا بدوا تسيطر المقايضة على مبادلاتهم التجارية ، بدأ عديد المربين للماشية يرفضون بدءا من النصف الثاني للسبعينات يتخلون عن تربية الجمل . فالناقة لا تلد إلا بعد خمس سنوات ، كما أن الفاصل بين الولادتين يقدر بسنتين وثلاث سنوات .

ولقد تدعّم هذا الاختيار بجاذبية السوق الليبية التي بدأت بدورها في النصف الثاني من السبعينات وهي جاذبية نجمت عنها هجرة رعيان الإبل - ورعيان الأغنام - ليصيرون رعاة في ليبيا وفق عقود شهرية . كما نجم عن عملية الإغراء هذه بيع الجمل للبيين وهي ظاهرة عرفت أوجها في السنوات الثلاث الأخيرة من السبعينات .

وقد نضيف إلى هذه الأسباب جملة من العوامل مثل :

* عدم توفير العلف بالرغم من ضعف المراعي بسبب الرعي الجائر الذي عرفه الظاهر بعد تقلص فضاءات الرعي بالجنوب التونسي .

* عدم الإهتمام بتحسين المراعي والحفاظ عليها وإدخال النباتات الرعوية الجيدة فيها . ونتيجة لهذه العوامل المختلفة ، وأمام التحولات التي بدأت تعرفها المنطقة ، تحول الجمل رلى وسيلة عبّر من خلالها عديد المالكين من القطاع الرعوي

الفلاحي إلى القطاع السياحي ، حيث صار الجمل يستغل لركوب السياح في النزل الموجودة بالمنطقة المتاخمة للظاهر مثل مطماطة ودوز وحتى في مناطق أخرى من البلاد .

وبسبب هذا التحول في طبيعة الدور الذي صار يقوم به الجمل ، ارتفعت أسعار هذا الحيوان حيث يقدر ثمن الجمل الواحد اليوم بين 800 و 1000 دينار . وهو ثمن مرشح لمزيد الإرتفاع ولعل في ذلك مؤشر على العودة إلى تربية الإبل .

بعض الملاحظات الختامية :

إن تراجع تربية حيوان الجمل بالظاهر التونسي جعل من الجمل الذي يحمل الهودج خلال فترات الزفاف موضع تنافس كبير بين الأهالي حيث يتسابقون اليوم إلى اكترائه شأنهم في ذلك شأن أهالي المدن الكبرى بالبلاد الذين يقومون بكراء لوازم الزفاف كلباس العروس . ولكن هذا التراجع يستدعي من مصالح الفلاحة بالبلاد مزيد الدراسات والبحوث لدفع الأهالي لتربية هذا الحيوان الذي سيكون له دور حاسم - في صورة تقامي أعداده - في قطاع الجلود خصوصا وأن هذا القطاع يعتبر قطاعا رئيسيا في مجال التكوين المهني اليوم .

الهوامش :

- 1 - هونتغمري (وات) : دار الكتاب اللبناني ، ط 1 بيروت 1981 ، ترجمة ابراهيم خورشيد ويونس عبد الحميد وعثمان حسن ، ص 10 .
- 2 - ابن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة ، دار القلم ، ط 5 ، بيروت 1984 ص 121 .
- 3 - المرجع والصفحة نفسها .
- 4 - أخذت هذه الإحصائية عن كلمة مدير ديوان تربية الماشية بدوز ، تصريح لإذاعة صفاقس يوم 16 ديسمبر 1991 بمناسبة انعقاد ندوة مهرجان دوز تحت عنوان " المحافظة على حيوان الجمل " .

قراءة في "نوافذ العشق والنّار" لشكري سلطاني

بقلم : محجوب الطرابلسي

" نوافذ العشق والنّار " مجموعة شعرية للشاعر التونسي أصيل مدينة جلمة بالوسط التونسي : شكري سلطاني ، وهو أستاذ بالتعليم الثانوي بجلمة وتأتي هذه المجموعة تتويجا لمرحلة من العمر هي المرحلة الأولى للشباب وقطافا لسنوات تقارب العقد من العمر .

" نوافذ العشق والنّار " إذن تجربة في الشعر جديدة أطلّ علينا الشاعر من خلال قصائده بعد سفره المصنّي والمعمّق في التراث الشعري العربي القديم بروح جديدة ، متجددة ، في برودة الفحول من الشعراء القدامى .

وأنا أهمّ بكتابة هذه الأسطر تتتابني الحيرة ويربكني السؤال : فأردّد : من أيّ نافذة على العالم الشعري لشكري سلطاني أطلّ لكنّ النّوافذ متعدّدة ، متنوّعة ، مغرية أخشى أن أطلّ على واحدة فأضيع ولا أطلّ على الباقي منها . إذن ومادامت الإطلالة من خلال كلّ هذه النّوافذ مستحيلة في آن معا ، كما أنّي أخشى المبادرة بالرؤية من خلال نافذة واحدة فتضيّعني في عوالم مغربة عبر امتطاء مركب لفة معتقة تواقفة إلى السّفر في ما لانهايات الماضي والمستقبل ، فلا أطلّ على الباقي منها ، فأنّي سأحاول أن أطلّ على جميع هذه النّوافذ من بعيد إلى أن يسعفني الوقت فأطلّ على هذه النّوافذ نافذة ، نافذة ، بعد إعداد العدة كي لا أغرق في يمّ العشق أو أحترق بلهيب النّار .

على أنّ نصوص شكري سلطان ، وإن أتت في حلّة قديمة قوامها عمود الشعر

في أغلب القصائد ، فإنها قد أتت طافحة بالحداثـة منبئة بميلاد شاعر ينهض من أعماق التراث الشعري العربي القديم ، يرشح لغة فصيحة معتقة ومبشرة بتجربة شعرية مجددة سيكون لصاحبها عظيم الشأن إن هو داوم الكتابة وغذى هذه الذاكرة الشعرية بروافد من الشعر الحديث شرقا وغربا .

فهذه النصوص الشعرية تبدو لنا مؤسسة أصيلة في خيالها الخلاق الذي يعانق الذاكرة الشعرية العربية القديمة والجديدة في آن معا وفي لغتها الرصينة الأخاذة التي تزوِّع حداثـة ضوعان الطيب كلما حركته .

ولعلّ الشاعر على وعي بخطورة النص الحديث الذي غيّر طريقة تفاعلنا مع الشعر العربي القديم لأنه كشف عن أسرار عظمة ذلك الشعر واستخدامها بكيفية تجعلنا في حاجة لإعادة التمعّن في نظرنا لذلك الشعر .

ولعلّ من المزالق التي قد نقع فيها مقارنة النصين القديم والحديث بوسائل وأدوات من خارج النص ، نسلطها عليه قهرا واغتصابا سواء كانت مستدعاة من التراث تفي بحاجات مبدعيها في لحظتهم التاريخية أو من ثقافات أخرى .

إنّ أول ما يطالع قارئ هذه المجموعة هو ذلك الإهداء وما تضمّنه من معاني اختصرت ما جاء في المجموعة وفسّرت ما جاء في العنوان ، حيث قال الشاعر :
إنّ الحياة آتية من نوافذ الحب وإنها فناء في القول الناهض من منابع النور » .

فالحب إذن نافذة كبرى هي نافذة العشق تجري في شرايين حياة هذا الحب والعشق دماء النور والنار وتتفرّع على هذه النافذة العظيمة نوافذ تتخذ من الحب سلاحا به تخلد وتقاوم شبح الموت ولعلّ أولى هذه النوافذ :

1 - نافذة الوطن :

وهي أولى النوافذ التي انطلق من خلالها الشاعر عبر تجربته الحياتية والشعرية معا . إنّها جملة تلك المدينة التي سمّاها الشاعر "مدينة الشعر" وفعلا كان الشاعر في ذلك محققا فقد أنجبت شاعرا وفيّا يردّ لها القليل من كثير جميلها ويقول فيها : ص 11 ويمرّ الشاعر من الوطن الذي طالما تعشق ترابه وتغنّى بكلّ شبر وبكلّ نخلة وصاحب به لينطلق إلى فضاء أرحب هو الوطن بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من

معاني فتغنّى به عاصمة للفن والشعر والعشق والجمال ومنبعاً للعلم والآداب
ويقول في قصيدته : " تونس عاصمة الفن " ص 16 ولا يزال الشاعر يتغزّل
بوطنه حسناً فاتنة ولعلّ قصيدة "قرطاج" حوت نصيباً كبيراً من التجديد في
الشعر ذلك أنّها تتبدّى للقارئ في صورة غادة هيفاء ساحرة العينين مياسة الخصر
ذهبية الشعر .

والشاعر في تغزله وعشقه الصوفي يؤسس من وطنه مدينة للحب والعشق
والشعر والأحلام والإلهام وهو في كلّ ذلك ينتقي عباراته وألفاظه من معين ونبع
صافي فتراه يغرف من حياضه درراً شعرية وقلائد وياقات يجمّل بها عروسه
ويزيدها بهاء وإشراقاً ونورا .

وأما اللغة فتأثبه طائفة مطواعة ، فيفتنّ في مراودتها ومداعبتها حتّى تأتق
سلسلة عذبة فلا تشعر بتكلّف ولا إطرأ فكأنّها تنضج في يسر ونيدة لا تعسف
ولا مغالاة فتتسرّب موسيقاها يتسابق اللفظ والمعنى فيها إلى المتلقي فلا يسبق
الواحد منهما الآخر وتلك عين البلاغة . ومن نافذة الوطن يمرّ الشاعر إلى كائن
طالما تغنّى به الشعراء وأطالوا فيه القول وأطالوا عليه الوقوف ألا وهي : المرأة
نافذة أخرى للعشق والتأثر .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

2 - نافذة المرأة :

إذ تتعدّد الأسماء وتنوّع الصّور والأوصاف والمواقف منها فسهم ، أسماء ،
وليلي أو هند كلّها رموز لعنصر واحد هو المرأة ، إلا أنّ الشاعر لا يكرّر ما قاله
القدامى في وصفها كما أنّه لا يقطع معهم ولا مع بلاغتهم وإنّما ينطلق من هذا
التراث ليأتي بصور جديدة مبتكرة توقا إلى الإضافة والتجديد والإبداع والطرافة .
ولعلّ المنحى الذي اتّخذه شكري سلطاني هو منحى أصيل متأصل في التراث لا
يكرّره ولا يقطع معه في آن ولعلّها تجربة تجديديّة إبداعية من داخل التراث لا من
خارجه مواصلة لما كان قد دأب عليه شعراء النهضة العربية قبل منعرج القصيدة
الحرة الحديثة . ألم يقل الشاعر في بيانه في بداية المجموعة بعد تقديم الأستاذ
محمد البدوي مباشرة : " أحسست أنّ اللغة الحارقة النابضة هي التي ستعيد
لشرايين الشعر أنهاراً جديدة ... لذلك اختنقت وشرقت العديد من المرات بالمفردات

السّاخنة العاتية لأطلّ على نبع من اللّهب أتنفّس منه وينفخ فيه من روحه نوافذ
العشق والنّار " ، تجربة مع اللّغة العربيّة ومع الذات الفارّة إلى الذات ...
حاولت أن أكون تائقا ومطوقا ، تائقا إلى الفرادة والتجديد ومطوقا بضوء الشّعـر
القديم لأنّ الشّاعر لا يمكن أن يكون لقيطا وحيدا فقط وإنّما هو صوت ينهض من
عدّة أصوات فنحن حين نكتب تهجم علينا العديد من النّصوص الأخرى لتوقع صوتا
فريدا حديثا (*) .

وفي قصيدته " سهام الضوء " تعفف وكبرياء ووفاء فيها نفحات من الغزل
العذري وجنون يضاهي جنون قيس بليلي أو جميل ببشينة أو كثير بعزّة أو غيرهم من
مدرسة الغزل العذري "بالحجاز" ففي هذه القصيدة وفاء للحبيبة ولعمود الشعر في
آن فقد أتت مصرّعة الإستهلال ميمية الروي يقول فيها ص 14 .

والشّاعر في تغزله وعشقه يعزف على أوتار عدّة ويركب بحورا متنوّعة من
الشّعـر فلئن أتت قصيدة "سهام" عموديّة على البحر الوافر فقد أتت قصيدة
أسماء حرّة اتّخذت من تفعيلات البسيط موسيقى لها .

وأسماء قد تكون رمزا للمرأة الحبيبة وقد تكون رمزا للملاك الذي يلهمه
الشّعـر وقد تكون هي اللّغة التي طالما يعشقها الشّاعر واحتفل باتّقاد دمائها في
شرايين شعره . فكأنه الشّاعر يحمحم في داخله ذلك الشّاعر العربي الفذ القائل "
أذنتنا ببينها أسماء ** ربّ ثاو يملّ منه الثواء ، فيردّ عليه الشّاعر كأنّه يخاطبه ؛
لست وحدك المفتون بأسماء" قائلا ص 22 أو ص 73 "إنّي أحنّ إلى أشعار أحرفها **
مذاذنتنا بين الرّوح أسماء " ويواصل الشّاعر تنقله بين الأساء اللّواتي تعدّدت
أسماءهنّ تنقل النحلة تمتصّ رحيق الأزهار لتقدّم منه عسلا شفاء للنّاس وليقد
صاحبنا قلائد شعريّة تبرؤه وتبرؤنا من سقم الشّعـر في عصرنا ، فهذه ليلي تتلون
لك يتلون فصول السّنة شتاء صيفا ، خريفا فريعا فتأتي إليك حسبما تشتهي في
كلّ فصل تدثّرك بالحبّ والعشق وتهديك أجمل ما تملك فيقول في قصيدته "ليلي
والفصول" ص 31 . وبعد أن مرّ الشّاعر على دار ليلي وقبّل جدرانها يواصل
مسيرته وسفره فينيخ راحته ويتفيا ضلال هند الوارفة فتقبّله وترحبّ به ويقول
في ذلك ص 46 .

ولئن تغني الشاعر بليلي امرأة فقد تغني بها رمزا للخمرة والتي تؤنسه في سفره وتخفف من وطأة حزنه شأنه في ذلك شأن أولئك الذين تمرّدوا على قبائلهم واتخذوا من السفر والشعاب والجبال سكنا لهم فيقول في قصيدته "مسافر زاده العنب" ص 40 .

وللحب في شعر شكري السلطاني صور مغرقة في القدم وصور أخرى أحدث من الحديث تجعلك مغربا بين عوالم ثلاثة : العالم القديم ، العالم الحديث والعالم الشعري والفني الجامع بينهما ، والعالم الذي يأخذك بسحره فيخلصك من أسر الواقع ومن سحر التجربة الذاتية كما للحب في شعر السلطاني متعة التناقض الشعرية الحكائية تماما كما في ألف ليلة وليلة وللحب لديه سرّ دفين ولغز لا حلّ له وآفاق غامضة ما أشرقت إلا لتظلم وما أظلمت إلا ليحلم فيها بالعشق والنور والشمس تلك الآفاق التي يتعانق فيها العشق بالنار . والشاعر يتغزل بحبيبته ووجهها رمزان أبديان للوطن والعشق والنار فيغدو التوحد بين الشاعر والوطن بلوغا والصراع من أجله مقصدا والبوح بالأسرار دروبا إليه .

كما أن الشاعر لم ينس أن يكتب قصيدة في ذلك الحزن الذي يحن إليه المرء مهما تقدّم به العمر ألا وهي الأم فيقول في قصيدته "الفردوس الخالد" وفاء لها وإكراما : ص 24 . كما أن الشاعر لم ينس أن يتغنى بقارته السمراء إفريقيا ولايتها المشرّد المعذب فيقول فيها ص 19 . كما أن الشاعر تتسع وطنيته شيئا فشيئا لتشمل نسبته العربية فيقول في قصيدته "نشيد العرب" ص 53 . وتتعدّد النوافذ ويتناسل بعضها من بعض مستقلة أحيانا متداخلة أحيانا أخرى فمن نافذة الموطن إلى نافذة الوطن مرورا بنافذة المرأة حبيبته وأما وصولا إلى التغني بالنسب العربي .

وقد كانت اللغة في كلّ ذلك حارقة محرقة نارية لفظا ومعنى مطهرة للشعر والشاعر معا وفي ذلك خلود لهذا الشعر الناري ، ألم يقل نور الدين صمود " من لا يضع النار في شعره فليضع شعره في النار " (2) .

3- نافذة الليل :

ويواصل الشاعر مسيرته متغنيا بالليل الذي طالما احتفل به الشعراء فهو

ملأهم وملهم الشعر لهم والصدر الذي يودعونه أسرارهم فيقول في " كلمات الليل " ص 99 .

ثم يمر الشاعر ليطل علينا عبر نافذة أخرى هي أقرب مايكون إلى الليل ألا وهي نافذة الشعر فيتغنى به تغني الخليل بخليله فيقول في " أريج الشعر " ص 63 وكذلك في عريش الشعر ص 79 .

4 - نافذة الشعر :

وتتداخل نافذة الليل بنافذة الشعر فتلوحان لنا في أبهى صورة وأجمل كلمات في قصيدته « حانة الروح » ص 67 وكذلك في قصيدته الجميلة في الشاعر الكبير أبي الطيب المتنبي ص 62 .

على أن الشاعر لم ينس أن يتغنى بمدائن أخرى عريقة كالقيروان التي طالما تغني بها الشعراء وذلك في قصيدته " قيروان العواصم والهوى " ص 25 . كل ذلك قد تغنى به الشاعر دون نسيان أمكنة لها معه ذكرى كثر روضة التي قال فيها ص 76 .

هذا إلى جانب تلك المعارضة لقصيدة : علي الحصري القيرواني " يا ليل الصب متى غده " ولعلها القصيدة (المائة أو المعارضة المائة) التي جاءت متهورة بعنوان : " حانة الروح " .

وبذلك تتعدد النوافذ وتتنوع لتصنع نسيجاً واحداً هو هذه المجموعة الجديدة بالقراءة التي في الحقيقة كلما قرأتها خرجت بأشياء جديدة لم أظفر بها في القراءة الأولى وذلك لعمرى سمة للأدب الجيد وآية من آيات جدته وفردته .

نوافذ العشق والنار جديدة بأن تدرس دراسة معمقة مركزة لأن فيها من الشعرية والتجريب قلما نظفر بمجموعة من هذا الصنف وهي لا تخادعك إذ تسحرك بلغتها المعتقة النارية المضيئة فتسافر فيها كي تغرف من معين ذاكرة تنضح من منابع الشعر العربي القديم صافية لا كدر فيها ولا شوائب .

لا أريد أن أمضي دون أن أنبه إلى شيء فاتني هو ذلك التصدير الذي كان قد بدأ به الشاعر مجموعته وهو برهان على وعي الشاعر بما تخطه أنامله من قصائد إذ هذا التصدير لعمال الأصفهاني دليل ساطع على إيمان الشاعر بالتطور والتغير

والتنوع والتجدد فما محاولة الشاعر والكاتب عموماً أن يغيّر ويحسن إلا شعوراً باستيلاء النقص على جملة البشر .

كما أن الشيء الجيد الذي لفت انتباهي أيضاً هو تخصيص الشاعر لجزء هام من القصائد في التغني بشعره وهذا أيضاً دليل أوضح على أن هذا الشاعر يقطع دربه بخطى كلها ثقة وثبات في درب الشاعر الحق فالشاعر عندي وعند نقاد الأدب إذ أصبح يتحدث عن شعره ويتغنى به داخل قصائده فقد بلغ ذروة الشعر واستحق عن جدارة مرتبة الشاعر .

الهوامش :

* - قال الشاعر شكري السلطاني في مقال بعنوان " أكتب الشعر للذي يقاسمني حيرتي " الصادرة بالملحق الثقافي لجريدة الحرية بتاريخ 22 جانفي 1998 بالصفحة العاشرة رداً عن سؤال يتصل بعنوان المجموعة « النوافذ هي التي تمكن الإنسان من الإطلالة على مدار الرعب " كما يقول الأستاذ محمد لطفي اليوسفي ، والنوافذ هي التي تمكن الشاعر من النفاذ إلى أعماق الوجود . أما العشق فهو شمولي في الإنسان لأنه فنان يعشق كل ما هو جميل ، إذا لم يعشق فهو إلى الجماد أقرب ، ويختم بقول الأحوصي الأنصاري :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخر جليداً

أما النار فهي القداسة وهي تلك المشاعر المتجددة ، وتلك التي تطهرنا من الشوائب وتلتهم التزويق وتلقي عنا الأقنعة .»

* - يذكرنا الشاعر هنا بقولة لأدونيس وهو الذي اختار أن يكتب النص النثري الحديث عن وعي منه لا عجزاً واضطراباً : « كيف للشاعر أن ينشئ شعراً جميلاً وهو يجهل جمال لغته القديمة » .

قصائد مختارة

من شعر رابع لطفي جمعة

بقلم : حسني سيد لبيب
القاهرة

رابع اطفى جمعة شاعر رومانسي قديم ، من جيل محمد الفيتوري و ابراهيم عيسى وأضربهما ... لكنه ظالم لشعره .. لم يسع إلى النشر سعيا حثيثا ، وإن كان يبعث للصحف والمجلات بقصائد ومقالات في غاية الجودة والإتقان . هو شاعر لا يكتب إلا ما يمليه عليه فؤاده من أحاسيس ومشاعر ، ويعبر عن نفسه الهائمة في جمال الكون ، الثابضة بمشاعر الحب . يكفيه أن يديج قصيدته ، تعبيرا عن مكنون الفؤاد . وإن تيسرت لها سبل النشر ، فلتنشر . وإن لم تيسر فيكفيه أنه عبر عن أحاسيسه ومشاعره . وهو كما قال في مقدمة ديوانه (حطب الليل) الصادر عام 1997 : " قصائد مختارة من خمسة دواوين لم تر النور بعد " .. وكان قد أهداني - منذ نحو عشر سنوات - كراسته الشعرية (أغاني الشباك) ، فأعجبني المزاج الرومانسي الذي ديج به قصائده ، وأعربت عنه - في إحدى رسائلني عن أهمية طبع الكراسة ديوانا يقرؤه محبو الشعر ومتذوقوه .. ولم أكن أعرف أن لديه أربع كراسات أو دواوين أخرى كتبتها على الآلة الكاتبة، على ورق (استنسل) ، طبع منه العديد من النسخ ، وكان التصوير الضوئي لم يكن معروفا وقت كتابة الكراسات على الآلة .. ووضع لها العناوين : (حديقة القمر) و (بلادي) و (حطب الليل) و (أشعار قديمة) ..

ويبدو أن انشغاله بتراث والده المفكر الأديب محمد لطفي جمعه ، صرفه عن

الإهتمام بمؤلفاته هو .. فقد كتب عن والده مؤلفه الصادر عن سلسلة (الأعلام) بهيئة الكتاب (محمد لطفي جمعه) عام 1975 وله كتاب آخر صدر عام 1991 بعنوان: (محمد لطفي جمعة وهؤلاء الأعلام) . والسبب الثاني قد يكون في انشغاله بعمله في سلك القضاء ، حتى تقلد منصب مستشار قضائي في المحكمة الدستورية العليا .

وثمة سبب ثالث أراه في عزوف الرجل عن الإتصال بدور النشر . وقد تكون هناك أسباب أخرى لا أعرفها ، إلا أن هذه الأسباب مجتمعة ، أو أحدا منها ، لم يصرفه عن قول الشعر . فالشعر عنده حياة ومتعة لا تعادلها متعة . وأنى بالنفس المرفهة أن تتجمد أحاسيسها أو تتقرب ؟

ولما عزم على طبع هذا الديوان ، وقع في حيرة .. بأي مخطوط من المخطوطات الخمسة يبدأ ؟ واهتدى إلى حل مريح ، باختيار قصائد من كل منها ، وسمى الديوان (حطب الليل) .. وسبب التسمية أنه يجمع بين فنون الشعر المختلفة وأغراضه المتعددة من شعر عاطفي وشعر وصفي إلى شعر قومي ووطني إلى شعر عائلي . فهي من هذه الناحية كحطب الليل تجمع بين مختلف أغراض الشعر "ص 1"

وفي شعره ، تتغذى الصورة الشعرية بموسيقى الوزن ومفردات مجسدة للصورة معمقة لها .. والمثل نجده في قصيدة (عمري) التي يقول في مطلعها :

سوف تمضي أيها العمر وتنفذ كقطيع من سحاب يتبدد
سوف تمضي ثم لا يبقى سوى رجع أصداء وذكرى تتردد
وتزخر القصيدة بالصور والأخيلة ، وتساؤل الإنسان الحائر في خضم الحياة ، ويختتمها بتساؤل آخر :

أين أمسي ؟ أين يومي ؟ أين ضاعا كيف ضاعا وأنا يقطنان أشهد
أيهما العمر أتجدي دمة حين تمضي أو أنين يتصعد ؟

وهي تذكرنا بتساؤلات الشاعر المهجري إيايا أبو ماضي .. كما أن الشاعر شديد العناية بوصف الأحاسيس الداخلية ، مثل ما جاء في قصيدة (كيف أهوى من سمائي) ، من أحاسيس لامرأة يطاول عشقها المثالي السحاب في رقتة وسموه . وهي لا تعتب بمن يسخر من تضحياتها ، فكم تعبت من اللوم والعتاب .. وتنتهي القصيدة الرقيقة بهذا البيت :

واعتنقت النور في آفاقه كيف أهوى من سمائي لترايك؟

وتستريح النفس لأبياته ، بما فيها من شفافية وعذوبة ، وتحليق في أجواء صافية . فالمحب العاشق لا يعرف إلا رقيق المشاعر ونبل العواطف ، ويتجاوز شؤوننا مادية فانية ، ويعانق السحاب ، ويصبو إلى العلياء .. كأننا أمام نفس شفيفة الرؤى حاملة ، لا تتذلل ولا تشكو .. فبخايلنا كبرياء كامل الشناوي في عذاباته ورفضه الشكوي من عناد الحبيب .

ومن مختاراته الشعرية ، نقرأ قصيدتين نشرهما في (معجم البابطين للشعراء المعاصرين) ، هما : (حبيتي) و (أيها الشباك) .. وقصيدة نشرها في مجلة (منبر الشرق) 1949 بعنوان (بسمة الربيع) . وقصيدة (ذكرى ويأس) المنشورة في مجلة (المقتطف) عام 1950 . وقصيدة (الرِّيف في بلاد) المنشورة في جريدة (الزَّمان) عام 1949 وقصيدة (أنشودة الشاعر) المنشورة في مجلة (الصباح) عام 1948 وأعاد نشرها في جريدة (الزَّمان) عام 1949 . وقصيدة (هاهنا) المنشورة في جريدة (الزَّمان) عام 1949 . وقصيدة (صوت السماء) المنشورة في مجلة (منبر الشرق) عام 1949 . وقصيدة (عودة الربيع) المنشورة في جريدة (الزَّمان) عام 1952 . وقصيدة (وحي الهجرة) المنشورة في جريدة (الزَّمان) عام 1950 . وقصيدة (رسالة غاضبة) المنشورة في مجلة (الشعر) عام 1995 .

وقصيدة (الشاعر) جديرة بالوقوف عندها .. ذلك أن الشاعر صاغ فيها مفهومه

عن الشَّعر وتذوقه ، وعن الشَّاعر وعالمه .. فيتحدَّث عن ربة الشعر وعرائسه ، ويصف نفسه كالشمعة تذوب وتتلاشى ، ويبقى ضوءها .. ويصف نفسه بقيشارة الخلود وريشة الفنَّان المعبرة عن أدق الخلدات . ويقول أنَّ الشَّعر لغة الحب والقلوب ، وإليه يفزع حين تحديق به الهموم .. ويلون المزاج الرومانسي قصيدته ، مثلما يلون ديوانه كله .. ومن ألقه ونوره يقبس معانيه ورؤاه ، ويختار صوره الشعرية .. فيلجأ إلى الألفاظ المعبرة عن كلِّ ما هو سام وعظيم ونبيل .. وفي شعره رهافة حس ، وهي سمة بارزة في الشعر الرومانسي .

يقول عن نفسه :

إنني الشاعر الذي قد براني	الله روحاً من نوره وتأنق
صاغ كلَّ القلوب من حمأة الطيب	من ولما سوى فؤادي ترفق
إنني الشاعر الذي ألهم الطيب	مر وأوحى إلى الربيع فأورق
أنا قيشارة الخلود أنا ريب	شدة فنَّان صور الحياة وأنطق

وتبرز الصورة الشعرية في قصيدة (فيم تفكرين) ، حيث يتحدَّث إلى طفلته ، واصفا حركاتها وسكناتها ، مرحها ولهوها ، مقترباً بلغته الشعرية من لغة الوصف القصصي ، راسماً صورة للفتاة المرحمة المتفائلة .. وهو لا يقف عند جزئيات صغيرة ، وإنما يتجاوزها ليصل إلى الكليات ، مع وصف الملامح وفيض الشعور .

بهذا الشعر الرقيق ، يجدر أن يتبوأ الشاعر رابع لطفي جمعة مكانته اللائقة في صفوف الشعراء الحالمين ، وأن ترى النور دواوينه المخطوطة الأخرى .



حوار مع الشاعر والصحفي الجزائري عيّاش يحيّاوي

حاوره : محمد العايش القوتي

عيّاش يحيّاوي : شاعر وصحفي من الجزائر الشقيقة عمل بجريدة الشعب الجزائرية ثم بالشروق الجزائرية . التقيت به عدة مرّات بمدن جزائرية خلال المهرجانات والملتقيات منها ، الجزائر العاصمة ووهران وتبسة " والوادي سوف وأجريت معه الحوار التالي :

- من هو الشاعر والصحفي الجزائري عيّاش يحيّاوي ؟

* عيّاش يحيّاوي (44 سنة) ابن شهيد من شهداء الثورة الجزائرية عشت طفولتي في المدارس المخصّصة لأبناء الشهداء ، ارتبطت بقريتي البعيدة في أعماق بلاد الجزائر وبالكلمة الشعرية ، بدأت الكتابة الشعرية في منتصف السبعينات فنظمت الشعر العمودي ونشرت أعمالا في بلدان المغرب العربي الكبير .
- بعد أن أصدر عيّاش يحيّاوي ديوان "التأمل في وجه الثورة " و"عاشق الأرض " و "السنبلة " ، ما هو الجديد لديه ؟

* لي ثلاث مجموعات شعرية جديدة ، " توقعات على ضلع شهيد " و " أحزان المنحدرة " و " ناصية " .

- ماذا عن تجربة الشعر في الجزائر ؟

* إن تجربة الشعر في الجزائر بدأت بشكل جلي مع قصائد الأمير الشاعر عبد القادر الجزائري الفارس والشاعر المتصوف والمكافح ضد الإستعمار الفرنسي ، كتب القصيدة العمودية ، وفي سنة 1930 بدأت الحركة الوطنية الجزائرية من خلال حزب الشعب وجمعية الإصلاح التي كان يرأسها خلال سنة 1931 المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي بث وعيا وطنيا جديدا يتمثل في تشكيل موقف تحريري مناهض للإستعمار الفرنسي الذي كان يحاول طمس الشخصية الوطنية الجزائرية وهذه المواقف الوطنية دفعت الكثير من الشعراء الجزائريين إلى كتابة القصيدة الوطنية ففي سنة 1955 كتبت أول قصيدة حديثة على يد الشاعر الجزائري المعروف مفدي زكريا رحمه الله شاعر المغرب العربي الكبير وكذلك الطلبة الجزائريين الذين درسوا في تونس ومصر وسوريا بأن الثورة الجزائرية حيث كتبوا قصائد من الشعر الوطني ، وبعد الإستقلال الجزائري كتب شعراء من منطلق واقعي عبروا فيه عن واقع العمال والفلاحين ، واليوم كتب الشعراء والقصصاء والروائيون الجزائريون عن الإرهاب اليومي والقتل الذي تعيشه الجزائر كل يوم .

- الهاجس الشعري عند الشاعر الجزائري عياش يحيايي ؟

* أحاول أن أبني الحياة بشكل آخر فأنا لا أنظر إلى الشعر على أنه لغة لأنني استمدته من طفولتي . من أصغر الأشياء منها الحارات والدروب الضيقة من قريتي . مسقط رأسي . بكاء النساء أثناء الثورة واليوم زمن الإغتيال والإرهاب ، الأيتام ، الفقراء ، الحيوانات ، الأشجار ، كل هذا مازال عالقا في نفسي فأنا مازلت أتحرك في الأوطان والبلدان والفنادق الفخمة حاملا معي قريتي . مسقط رأسي في أعماقي .

- ازدهار الإبداع وارتباطه بحرية التعبير ؟

* المثقف والشاعر والصحفي يبدع يعني أنه في أمان يرى أن
البندقيّة في خدمته وأن الشرطي في خدمته وأن الإرادة السياسيّة
في خدمة إنجازاته ذات البعد الوطني الإنساني وأما اليوم فنحن
الآن في الجزائر نعيش في فزع وخوف دائم مسكون بالموت بين
اللحظة والحين للقتل والإرهاب وهذا هو الوقت أو اللحظة التي
يشعر فيها المثقف الشاعر أو الصحفي أنه محاصر فنحن في
الجزائر اليوم محاصرين . فغابت حرية التعبير في شتى أنواع
الإبداع فقتل الصحفي وقتل المسرحي ، وقتل المفكر ...
فاضطروا الآخرون إلى الغربة والهجرة .

التي تقتلني دائما بسيف أخضر

أواجهها في شوارعنا الضيقة
يحاصرني الكبت ... أهرب من هذيان
http://Archivebeta.Sakhril.com

يحاصرني الهذيان ...

فأكتب ما ليس يفهم ...

وأنشر للرّيع قلبي ...

وللكف نار على شرفات الجبين ...

وأني سأندم ... والمدن الساحليّة ...

تعلم ما بيننا من نفور

ومن ألفة كاذبة .



فنون تشكيلية جيل جديد على الدرب

بقلم : منير بن يونس

قبل البدء : ضفاف الإبداع

لأننا نبارك كلّ المبادرات الساعية للتعريف بالمبدعين وتسليط الضوء على تجاربهم بمختلف مجالات الفنون .. نحيي اسهامات الصحفي والإذاعي سليمان بن يوسف في هذا المجال وآخرها كتابة الجديد "ضفاف الإبداع" الذي خصّص جزءاً هاماً منه للتجارب التشكيلية متناولا أعمال كلّ من يمينه العيوني ، شعبان المليتي ، حسناء الدريدي ، ابراهيم البهلولي ، محمد بوليس ، رجاء التّفنوتي ، ونرجس الأندلسي . وهي أسماء سبق أن قدّمنا أعمالها سواء عبر مجلة الإتحاف أو ضمن كتابنا (تأملات في الفن التشكيلي المعاصر) ونتمنى لها مزيد الإشعاع والتميز .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



في البدء :

وإن كانت هناك
تجارب وظواهر نتبرأ منها
على غرار ما لاحضناه
في بعض المعارض التي
قمنا بزيارتها ولم نجد
لمقدّميه أكثر من أسمائهم
فيما كانت الرّسوم
بريشات نعرف أصحابها
جيّدا ولن نخدعنا
الأسماء فقط نقول لهم :



إن لم تستحووا فافعلوا ما
شئتم " وبالمقابل هناك خطى
ثابتة لنخبة تستحق الدعم
والتعريف بتجاربها ... وفي
هذه الصفحات مصافحة
لبعض الأعمال التي لمسنا
فيها البدايات الواعدة
والمحاولات الجادة لإثبات
الذات .

* نزار شرادي :

من التجارب الشابّة
المتميّزة التي اعترضتنا نجد
الأعمال النحتيّة التي قدّمها

النحات نزار شرادي بكلّ من
دار المسرح والسينما ابن رشيق " لبوام" وبعض نزل العاصمة ... هذه التجربة
رغم تأثرها بالفترة الرومانسيّة والقرطاجيّة إلّا أنّها أثبتت قدرة صاحبها على
امتلاك التقنية اللازمة وهذا مهم في مثل سنّ نزار وهو صاحب الواحد والعشرين
ربيعا اضافة لعصاميّته ... ونحن نتسم الخير في مستقبل هذا النحات الشاب
وندعوه لمزيد العمل من أجل تطوير تجربته .. خاصّة أنّ نحّاتينا يعدّون على
أصابع اليد الواحدة .

نزار شرادي قدّم أوّل معرض له بدار الثقافة الشيخ ادريس بينزرت بدعم من
مدير الدار القاص بشير التلمودي .

* سعاد الشهيبي :

ريشة أخرى تخطو خطاها بثبات .. وتسعى من معرض إلى آخر لتطوير آليات
فعلها الإبداعي وكانت آخر مصافحة للوحاتها بقاعة دار الثقافة ابن رشيق بعد
سلسلة من المعارض قدّمها داخل وخارج الجمهوريّة .. لاحت فيهم سعلد
الشهيبي باحثة عن خصوصيّتها وجادة في التخلص من مؤثرات الفن عند

المستشرقة سواء على مستوى اللون أو الشكل فكانت تارة تهرب للطبيعة الجامدة (Nature more) وطورا إلى المدن التونسية بشكل تجريدي مرة وانطباعي مرات .

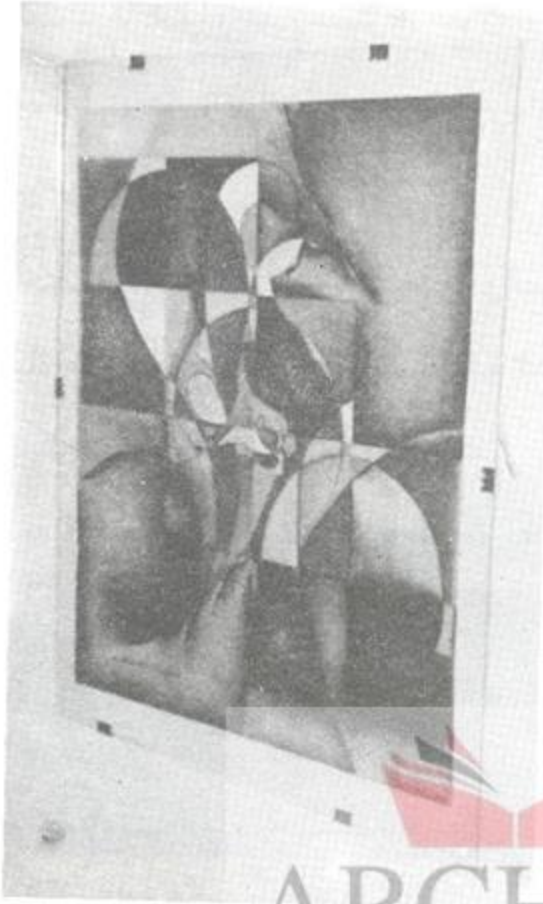
احتفال سعاد الشهيبي بالأفومة والورد كان وراءه توقا للحب والأمل والحياة من خلال الألوان الزاهية رغم تسجيلنا لبعض الألوان القائمة داخل لوحات معدودة . . . ونبقى في انتظار جديد هذه الرسامة ولا شك الأيام القادمة قد تعطينا صورة أكثر وضوحا لهذه التجربة .

* محمد بوشوشة :

يعتبر فن الفسيفساء (Mosaïque) الفن الذي يستنطق الحجر . . . وحضارتنا العربية بصفة عامة والتونسية بصفة خاصة تزخر بعدد الإبداعات التراثية في هذا المجال . . . ولا تكاد تخلو منطقة أثرية في بلادنا من لوحات نادرة من الفسيفساء تروي قصص وأساطير عصرها من خلال رموزها . . .

ومحمد بوشوشة في ما قدمه من أعمال أظهر امكانيات كبيرة في تطويع الحجر للألوان التي يريد استخراجها . وبصفة عامة تلك التي أعاد فيها أعمال ليونار دافنشي " الجوكندا " أو " المرأة العذراء " .

إن محمد بوشوشة وإن أبدع في إعادة تلك اللوحات الخالدة بكيفية لا تختلف عن اللوحة الأصلية إلا في شكل تقديمها فأننا لاحظنا تدني المستوى في أعمال أخرى التي حاول فيها تجسيد صور الفنانين التونسيين مثل لطيفة العرفاوي، أمينة فاخت



والرياضي الهادي بالرخيصة .

* معمر مرابط (الجزائر)

معمر مرابط رسّام جزائري
قدّم معرضه بقاعة (لبوهم)
وهي مجموعة من اللوحات
حاولت استلهام التراث
الأندلسي وتقديمها في شكل
المنمنمات ... فكانت أعماله
مواصلة لتجارب جزائرية سابقة
في مجال المنمنمات العربية
والتي يمثل محمد راسم رائده
بالقطر الجزائري وتلاميذه محمد
تمام وعلي خوجة من بعده .

ومعمر مرابط متخرج من المعهد

التكنولوجي لتكوين الأساتذة (اختصاص رسم) . شارك في بعض المعارض الجماعية
في موطنه وكان لتونس بادرة لتقديم أول معرض فردي له .

وفي زيارته لتونس حدثنا معمر مرابط عن إعجابه بمجموعة من التجارب التونسية
التي يعتبرها رائدة مثل نجا المهداوي وشعبان المليتي وعمّار فرحات ويمينة العيوني .

* رسالة ليست خاصة إلى الرسّامة يمينة العيوني :

من هناك .. من مقعد خشبي بحديقة الوفاء المدم ، من لغة الورد المصلوب على
بوابة منفى الحقائق .. نستجدي الزّمن الهارب من قبضة مجانين الوعي .. ربّما ننام
إلى موضع الجرح .. نستجدي أمن العواطف .. ونقرأ على صفحات أحلامنا الهاربة
.. آخر نبوءات العواصف المستترة ... وقد نجد يوما حبة لا يكون فيها الوفاء
والصدق والإخلاص متّهمون .. وقد نسعى لقطف الورد من على حدّ السيف ..
فأجدادنا الأوائل لفظتهم خيام العشيرة ... وتنكر لهم سادة القبيلة ... وأبيحت
دماؤهم لمن يعثر على بقاياهم . لكن ماذا نقول للذين مسرحوا الحياة والمشاعر نصّا

واخراجا وتمثيلا ؟ /

قبل الختام : صدى الألوان :

بعد تقديمه للبرنامج المتميز "على ورق الورد" بإذاعة الكاف أنتج الإذاعي الرقيق لسعد القروي برنامجا يعنى بالفنون التشكيلية اختار له من الأسماء " صدى الألوان " وهو برنامج يرصد الحركة التشكيلية مواكبة ونقدا من خلال مجموعة من الإستضافات قد تختلف في مذاهبها الفنية حول الفن التشكيلي التونسي . الواقع والآفاق . بمشاركة كل من محمود قفصية ، منير بن يونس ، ونجا المهداوي .

فمرحبا بك أستاذ لسعد القروي في عالم الفن التشكيلي ونتمنى لك و " لصدى الألوان " النجاح والتوفيق .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>





ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



كلمات في الوطن والمواطنة

بقلم : مختار المومني

- * مثلما يحتاج الوطن إلى السواعد المفتولة يحتاج أيضا لبعض الكلام الجميل .
- * ليس اليتيم .. يتيم الأم والأب ... إنما اليتيم من لا وطن له .
- * ما أروع الوطن عندما يكون غيمة على ثغر عطشان وكساء على جسد عريان
- * الصفحات الخالدة في تاريخ الوطن هي التي كتبت بدم الشهداء .

آخر البوح

وطني تونس

واو ..

طاد ..

نون ..

واو .. ورد يعبق

طاد .. طير حلق

نون .. نهر يدفق

تاء ..

واو ..

نون ..

سين ..

تاء .. توق نحو الأفضل

واو .. واحة حبّ دوما تزهر

نون .. نسر .. دوما يحلم

سين .. سرّ التوق وسرّ الأمن عند

النسر الحالم سلم دائم .

* شقي هو الوطن الذي يعجز عن إطعام بنيه
وشقي هو الذي من وطنه كل شيء ولا
يعطيه أي شيء .

* كتبت اسمك فوق ذراعي

رفعت رسمك فوق شراعي

وناديت بأعلى صوتي .. أحبك يا وطني

حتى وإن جعت فيك ، حتى وإن مسني الضر

على أديمك فلن أتوب عن حبك يا وطني .

* ما أهون الموت على أعواد المشانق في

سبيل الوطن ... فخلف حبل المشنقة ربيع

الوطن ...

* مهما شط المزار ومهما طال الزمان فالطير

المهاجر يعود أبدا إلى موطنه .. حب الوطن

غريزة حتى عند الطيور .

* ولدت أحبك ..

وعشت أحبك

وأموت أحبك

يا وطني .

مسامير السلام

شعر : رعد مسلم
العراق

إنني سأرى وجه صديقي من سطح داري
لكن لا سلّم لي لأنزل منه إليه
فقد ذبلت أجنحته الثقال ،
وأشكّ في قوّة هذا الفضاء الذي بيننا
لأنّ السّماء تمدّدت عليه برخاوة السقوف
وصديقي - ها هناك - قد سيّج السطوح بوجهه الدخان
وبيدي المنفيتين في الطعنات والمرائي
وبقدمي الآفلتين في إيماءات الحشائش
المتثابنتين (كالجراء) في مرايا الألم
الهاربتين - من مخابئ الفوّهات - في الوجوه ،
ومن وجه صديقي المنطفئ في السلالم السّفلى :
- أيّها الوجه الذي لا شبيه له في قياصرة المدن
أو مهرجيتها .
أيّها النّذب المستطيل الذي يرسم في فراغ الأباطرة ..

فراغا آخر :
إقطف من شجر الملوك لونك
وفخّ المسافة بيني وبينك بالعدر
وسأفخّخها ببدايات الشعر في الهجرة ،
حيث النبوءات يحملن سطوعي إلى رفعة سطحي
ويتشمن لحم احتراقي عند أحراش صديقي
يتسربلن بسلاّم الوجوه ..
أيّها السّلم ،
أيّها الخفاء ، متى ستظهر ؟
إلى متى ستغيب تحت ظلالك الأولى ؟
الحلم أسفلك
نحن بسطوحك
والعمر ولّى
في نباح قد تمدّد تحت ساحات ..
السّماء !

العنقاء

شعر : فؤاد قادي
الجزائر

وأنا المسمّى

كلّ ما تقوله العنقاء خفية عنّي يبطله فتى مقبل منّي

وأنا المسمّى / وما وجدت

فكلّ ما تشهده العيون في لحظة ما ...

صرت لوحة تطلّ منها الوجوه والأيدي

وتلك امرأة هربت منّي

إليها نبوءة الطلاس <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وأنا المسمّى / حدودي بينها كرسي مبلى

وماء فوكر من عين الجن

وتختفي في لغة السماء / أخشى إن تكلمت / تفرمني سدرة المنتهى

وأعد الذين لم يمروا / وهم قبلي أنبياء اللغة

وأنا المسمّى / ...

قف

من حرك في الكون - وأخرج من ثفّاحة امرأة ترضع من ضلعي

وتسكن بساتين أحلامي .

اذكريني

شعر : رندة الهلالي

اذكريني ...

نغما حائرا

بين عزف الخلود

وترنيمة راهب مسكين

اذكريني ...
أزهار النيسان

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وطيورا رجعت بعد حنين

آه ... تحطمت أمواجك

على صخور الحياة

وضباب الأسى والأنين

وتفتقت

بذرة زنبقتك البرية

وسط حقول الماضي

وحصاد السنين ...

ليلي ،،، الكتاب الشّاهد والمشهود !

شعر : صالح الطرابلسي

« إلى ليلي العطار ، الفنّانة التشكيلية العراقية التي
سقطت شهيدة ... على إثر القصف الصّاروخي الأمريكي على
العراق في 27 جوان 1993 . »

خرابا ...	جمرة الحبّ ، ليلي ،،،
خرابا ...	يتوهج فينا خصباً أخضر ...
وتعلمه ...	وشهرزاد الحكايا الخالدات ،،،
من سحر الفنّ ،	تستأصل ...
ومن فتن الجمال ،،	من عمق ليلنا سيف ،،،
آيات بينات ! ،	شهيّار لتغمده ...
مشقّلة ...	في نحره ،،، ثمّ
كانت بفيء الحضارات ،	تمضي بنا ، حتّى يؤذّن ،
تعتلي ...	للصّحو ، ديك الصّباح !
شموخ النّخيل البابلي ،،	***
تزوّده بشهد الإباء !..	ليلي ،،،
***	كانت تنهّجى العالم ،

ليلي ،،،

ذاكرة القرنفل والجلنار ،،

تتضوَع عشقا فراتياً ،،

وتشكّل من فوضى العالم قصيدة ..

عصماء ، موقّعة الألوان !،،

يتشظى النّخل فيها بالهوى ...

سامقا ! ،

يتحدّى القصف وأهوال

الدّمار ! .

ليلي ، غمامة الرّشيد ،،،

حيث شاءت تمطر ،،

فيأتي ...

الخراج ! ،

ليلي الكتاب الشّاهد ،

والمشهود ،

والأحرف المطهّرة بماء

الرّوح ، على جبين

الدّهر ، يرسمها الخلود !

ليلي

مجنونك قد هام في بیدائه ،،،

بين الشّنايا شريداً ،،

بلا عيس ...

ملتحفا ...

برداء القصيدة ، تتوّهه

الليالي ، ما بين شكّه ...

واليقين ! ..

ربّما ...

لملم بعضاً من شتاته ، كي ...

يستعيد عشقه العذري ! ..

ربّما يتنهض طفلاً ...

يستعجل الشّفتين لصرخة ...

تكفكف الدّمع ...

عن الأعين الثّكلى ! ..

وتعودين ليلي ...

بسمه ...

عجربة تغدق الدّنيا بأسرار ...

فتنتها ! .

ربّما ... ربّما ... ربّما ! ..

ضباب الكرى الذي يعيشى ...
عن سماء مدينتنا
ونزرها السقسقات ،
في حناجر البلابل التي سئمت ،
نحيبها الرومانسي ، لتصنع ،
من بوحها الأناشيد ،
للنخيل الذي ما انحنى يوما ...
للأعاصير ، ، ، :
عزة كبرى ...
وشموخا ليس يرضى إلا ...
باعتناق الذرى ، نجما ...
ساطع النور ، على الدنيا ...
يأبى أفعولا ..!

ليلى ...
نام الزمان على شتات ...
والثنايا ...
مهايات سراب ! ...
والروح شظايا خمدت ،
في الجسد العليل ،
فتهشمت خلاياه ..!
بعض من تفاصيلنا ، تبقت ،
قد فمتطيتها ...
متسعا آخر لانسدال الجناح ...!
ليلى ، فهل نبكي ؟ ..!
لطالما ...
أتعبنا البكاء ..!

* * *

ليلى ، تفاصيلنا الصغرى والتي كنا
نغتالها عمدا ، سنبعثها
فيأضة باندلاع الشذى في ...
نبض القرنفل ، ، ،
ونزيع

سراديپ الكلام

شعر : سمير تهيمش

أجنحة بَلَلَتْهَا مِياه البدايات
قبل تناسل الألوان
من ذاك البياض
قطعت سراديپ الكلام
وانتظارات السنين
على شفا الخيط الرهيف
لكي تحييء من الظلام
من ضفّة الصمت
إلى صخب الكلام عن الكلام
من لون حمانا القديمة
من الرمال
إلى الغصون الوارفات
هناك في فرع الشمال
نحن سيان
هناك كنّا أو هنا
أنت أنا بهم وجوع
والشاعر رقم يضاف إلى القطيع
ويطوننا آذاننا والمنتهى كأس ونهد أبيض
في القلب تنطفئ الشّموع
فلمن ستفتحه الجناح ولا رياح
تهبّ من مأتى الجمال
ولا رجوع ...

مارس 1998

نرسييس

شعر : محجوب الطرابلسي

تصدير : « وحدهم العاشقون يظنون أن المياه مرايا فينتحرون » .

محمود درويش

إثنين هنا	...
واحدًا في واحد	واقفا
ماذا أقول ؟	لا شيء أجمل مني
كي تصدّق	كي أقبله
أنتك أني ؟	...
في كلّ واجهة	عاليا
أراني واحدًا .. أوحدا	لا شيء أطول مني
أبسم ، تبسم معي	كي أعانقه
كأنني !..	...
أقول : « من أنت ؟ »	عاتيا
تردّدها معي ..	لا شيء أعظم مني
كأنني !..	كي أفسره
فمن أنا ؟!	انظر .. تراني
في كلّ واجهة	أنت .. أنا

يرتدّ صوتي :
أنا .. أنا ... أنا ! ..
الله يعلم أنّي
لا أصارعه
أو أزاحمه
في ملكوته
بيد أنّنا
واحد في واحد
لا شيء يكسرنا
لا شيء يجمعنا
سوى أنت .. يا الله !
فانظر ..
تري وجهك في
أمرّ على المرايا
فأراني من حولي
مسيّجا بالآنا .. يا أنا
واحدا أوحدا
كأن لا أحد سواي ،
ويخنقني الكون البلّوري
ماذا أفعل
كي تتعدّد

أراني ،
واحدا أوحدا
أمدّ يدي
تقدّها معي
كأنني ..
سلم عليّ إذن
ولا تلمس يدي !
في كلّ واجهة
أراني ،
واحدا أوحدا
رجاء لا تلمس يدي
فبرزخ بيننا
يا أنا ...
أراك .. تراني
أصفعك ،
فتحمرّ يدي
بدم الجريمة
ويتهشم البرزخ البلّوري
فأراني :
وحدي .. ولا أراني
أصرخ : « من أنا ؟ » ،

من حولي الأشياء ؟
أأكسر وجهي ؟
أم ظلي ؟. أم أكرني ؟
أم ؟.. أم ماذا ؟!
نرسيس ..

هل في الكون أغنية
لم تسمع لضاهها ؟
أم غاب ظلك
لم تجده
كي تقبله
عاريا .

...

واقفا

أمضي وحيدا
منخطفا إليّ
لا شيء أجمل مني ..
ويرتدّ ظلي على ظلي
انظر .. لا ترى غيري
نرسيس ..

كم في اليوم
تعشقت ظلك ؟

يا إله الحسن
يا زاد المسافر
في الغياب
والآن ..
والشمس لا تردّ
لك ظلك
ماذا تفعل
كي ترى وجهك
في كلّ واجهة
واحدا .. أوحدا ؟!

نرسيس ..

ما بقي من لغة الجمال
ضائعا ..

أراك ، تراني ..
لا وقت عندك
وهذي الشمس
قد أفلت
فاذرف دموعين
على ترب محرابك
تنبت زهرة
أسميها : نرجسة

والق بنفسك
في اليمّ
كي تجد وجهك ..
لن تجده ...
وتعطّلت لغة الجمال
وضاع ...
في اليمّ
كم ضيّعك ...
وضيّعتني ...
وضيّعتنا
خدعة الوجه الجميل

ARCHIVE

<http://www.webeta.sakhrit.com>

مارس 1998



نجمتان في المهبّ ...

شعر : الحبيب دربال

حين الحظني شاذّة ویتیمه
تفرّ جميع الطيور إليّ
فترسم عشباً طرياً / ينابيع تبث عن دمها
في أقاصي الفجاج
حيث لا يلتقي ساكنان
ولا وقت إذاك للخلج

تعب الخجل ، فاستوى شوكة في صميم
العجاج ،

ثم لما انتهی شفقاً لا حدود له
بدأ العدّ ، فابلجت نجمتان :
<http://Archive.org/details/Saahit.com>

هذه تتقدّم نحوي ، فأصحو كما ينبغي ،
أو كمن يتفياً في حضرة العشق عشقا نشاز
بينما تنهض الثانية ،

وهي إذ تتخطى الرقاب رويدا رويدا
يهبّ السؤال لذيذا ، فيخضلّ ورد طموح
وينأى عن النبع ما يشبه الهذيان
فكونا شذا يتجلّى متى تتعطل
مملكة الأقحوان

وناما على رجل لا ينام ...

سنيله

شعر : نفيسة التريكي

على شهوة زرقاء
قطعت أصابعها في بياض
حسن سبأها ماء أنوثتها
غرقت في موج أحمر
استدنت كلمات بلا ميقات
هي التي قادت الرغبة إليها
ذنبها قلبها
فراشات دمها
أجنحة خلاياها
طيور التيه في فمها على دوحة نشوتها
جلباب فضفاض قدت شهوته من دبر
بردة نبي ألهبته
بكت حلما ممنوعا
في فصل أصغر حصدت مواقيت رغبته

سوسة - ماي 1998

قصيدة المسافر

شعر : عادل معيزي

و حين افترقنا
ترددت الكلمات الحزينه
وطارت حقائب عمري
إلى جهة في الخضم البعيد
وخلف الزجاج ، رأيت المناديل تبكي
رأيت الأيادي تلوح لي في سكون
رأيت شحوب أبي قد غزاه الجليد
وخلف غشاء دموعي
رأيت ابتسامة أختي وحلم أخي بالرحيل
رأيت الصّباح ثقيلًا وملء السّماء الغيوم

وتتهت ...
ولم أر غير شجون الليالي
وبرد الرّصيف
ولم يبق فيّ سوى زهرة ذاويه

تداعت لها الذكريات
وغني الخريف الحزين
قصيدتنا البائسه
وما عدت أذكر حبي
وغابت علي الطفولة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakrfit.com>

وفي الصيف ، حين التقينا
توهجت الأغنيات
وما عاد زهري كئيبا
وما غابت عني الهوى
وعادت إلى قلبي الأمنيات
وغنى النسيم ...
مع البحر أنشودة حالمه
ورمت النعاس على حجر أمي
وعادت إلى الطفولة ...

ولكنني هل نسيت ، بأنّ الخريف الذي قد مضى
سوف يأتي ، ويأخذني من جديد
إلى لسعة الثلج في المدن النائيه
إلى وحدتي في المساء الغريب ...
وجوع الليالي الطويله
ولهفه روعي القتيله
إلى بقعة في روابي بلادي

سأطوي حقائب عمري إذن خلصة
في الهزيع الأخير
وأمشي على طرف القدمين
وأخرج من بيتنا في سكون
لكي لا أرى دمعة أرهقت خدّ أمي
وكي لا أرى من زجاج المطار
مناديل تبكي ، شحوب أبي أنهكته السنون
وضحكة أختي الحزينة ترنو
إلى رحلتي في وجوم
وحلم أخي بالرحيل سيذوي
وكي لا أرى في الصّباح الثّقل صباحا ثقيلا
وملء السّماء الغيوم .

تونس 1989

على رصيف الصوت أعلن دهشتي ..

شعر : محمد عادل الهمامي

من أمسي النَّائي أجيء

على رصيف الصَّوت ..

أعلن دهشتي

وأعيد ترتيب الثَّواني

من أمسي النَّائي أطل ..

متوجًّا بالإنظار

مدجِّجًا بالضوء يولد في تضاعيف الأغاني ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

من أمسي النَّائي أراود

جوقة الكلمات

عن لغة ستينع في مراقي الوجد ..

عن معنى سيترك بيته

ويسامر الموج المحاصر بالمواني ..

الكرب 8 . 9 . 97

سرّ من الماضي

بقلم : نهلة علام العياري

تناول قلمه وانحنى على ورقة تحت نور مصباح ضئيل وأرسل يده عليها تفعل بها ما تشاء وما كان يستطيع لها ردعا . كان في نيّته أن يسجّل أحداث يوم أمس ووقائعه وقد كان حافلا ما يستحق التّسجيل ولكنّ يده تخونه وتقف عاجزة أمام الورقة والقلم ثابت بلا حراك كجندى نفذت عدّته وداهمه العدو فشلت حركته وجمدت نظراته .

وحدّق في الورقة ناصعة البياض فلم ير فيها إلا سطين تراء يا تحت ذلك الضوء الخافت قافلتين من النّمل الأسود في صحراء مترامية الأطراف . أين سطوة القلم على الورقة ؟! أين سلطان اللّغة وهيمنة الكلام على الصّمت ؟! الآن آمن أن الصّمت هو الذروة القصوى لرغبة جامحة في البوح .. من قال إنّ الكلام سهل ؟... فرسان الكلام وأرباب الفصاحة ؟! ... ولكنّ الصّمت أسهل إذا تعلّق الأمر بما خفي وسكن أغوار الذات وكهوف النّفس . اليوم هو يصرّ على تسجيل ما حدث له أمس . والقلم يذهب في عصيانه إلى أبعد الحدود ويتحدّى صاحبه في أخصّ خصائصه . الكلام . كأنما تأمر معه عليه . « لأسترجع الأحداث أولا ولأحاول ترتيبها ثمّ أصبح بعد ذلك قادرا على استيعابها » أسر ذلك وأخذ يستعرض ما حدث معه .

لما انتهى بي المطاف في الغابة إلى مبنى قديم مدسوس بين الأشجار الكثيفة خشيت على نفسي من الوقوع في وكر عصابة من المجرمين الأفّاكين فهممت بمغادرة ذلك المكان الموحش لولا أنّ صوتا فيه وقار ناداني أن أقرب ، ولا تخش شيئا . كان الصوت قادمًا من علوّ فرفعت رأسي لأرى من المنادي فاذا شيخ ترك لشعر

لحيته حرية الإسترسال على صدره وغارت عيناه في محجريهما كأنما كان يخشى أن تبوحا بسر مكتوم .

بعث في نفسي منظره ريبة وفضولا لم أستطع معهما أن أتجاهل نداه وأواصل سيرى فتقدمت بخطى مترددة ثقيلة وما كدت أبلغ الدرجات المؤدية على باب المبنى حتى رأيته أمامي منتصبا كالرمح بقامة مديدة وبشرة شاحبة وثياب نظيفة جدا .

ونظر مرة أخرى إلى الورقة فاذا قافلنا النمل الآن جيش جرار وإذا الورقة ترزح تحت عبء وطء الجنود لها . وإذا صفحتها البيضاء رقضاء تزام فيها النمل وتدافع .

وسرحت به ذاكرته في أزمنة تفوح منها رائحة الجثث فودّ لو لم تحتشد جنود النمل على ورقته فما كان أنصع بياضها ! ... وودّ لو يخيم الصمت من جديد .

واستشعر في نفسه ضيقا وبرما وأخذ يلوم نفسه على الفوضى التي تجتاحه كلما أراد أن يسجل فكرة من أفكاره أو خاطرة من الخواطر وعزم على مواصلة تذكر ما حدث .

« ألفيتني طفلا أمام هيئة ذلك الشيخ واقتادني داخل المبنى فاستجبت له طوعا أو كرها ووعد بأن يحدثني بما لم أسمع وأن يريني ما لم أر . ما كنت أملك حيال ذلك إلا أن أصمت إجلالا للشيخ ورجاء لما وعد به .

أدخلني حجرة معتمة منخفضة السقف وأجلسني على كرسي خشبي قديم متين الصنع وقال : « حملتك الأقدار إلى هذا المكان يابني كما حملتني قبلك على أن أنوء بما عندي . وكم من مرة رغبت في أن أبوح بسرّه ولكن عابري السبيل قلّة في هذا المكان والذين أتوسّم فيهم كفاءة حمل السرّ أقلّ وما كنت أظنّ بعد طول ترقّب أن تجود السماء بمدّ لك » .

وحدّق في عينيّ طويلا ثم أضاف : « كنت تمشي مطرقا ، تغشي وجهك سكينه غريبة وتتأبط كتابا أصفر يشبه تلك الآلاف المؤلفة من الكتب التي جعلت منها سنايك الخيل جسورا للعبور إلى جحيم أزرق . وقلت لنفسك كيف كان يكون وجه العالم لو أن كلّ الكتب التي أحرقت وأتلفت في الأزمنة الخوالي وقعت في

أيدي رجال مثلك . وقررت آتئذ أن أطلعك على ما ضننت به على من سواك » .
وما لبثت أن وجدت نفسي في حجرة هي أشبه بالدهليز أشدّ عتمة من الأولى
بيد أنني استطعت أن أتبين من وراء الظلام أشياء تجلّت بعد أن أضاء الشيخ المكان
بمصباح عتيق . كتب رصف بعضها في نظام وترك بعضها الآخر ملقى على الأرض
كما اتفق ومخطوطات جلدية وألواح خشبية وفي ركن آخر من الحجرة وقع بصري
على بقايا عظام وجماجم بشرية فأجفلت وسرت في كامل جسدي قشعريرة وانتصب
شعر رأسي وكدت يغمى عليّ وانحبست أنفاسي فاحتبس معها لساني ولم أجرو
على أن أنطق حرفاً واحداً .

ولما رأي الشيخ ذهولي شدّ بيده على كتفي وقال : « هو ميراث اختار أصحابه
أن يموتوا إلى جانبه على أن تلحقه يد المفسدين وكذلك كان . فهذه الجماجم يابني
هي لعلماء وفلاسفة فرّوا من قهر المضطهدين ولما طال مكوثهم هنا ولا زاد لديهم ولم
يكونوا يستطيعون الفكّ اختاروا الموت لتعيش هذه الكتب . هذا ما استطعت
فهمه ممّا قرأت في هذا المخطوط » .
« وسلمني إياه ولكنني عندئذ كنت أستهيد في سرّي ما قاله الشيخ : « كيف
كان يكون وجه العالم لو أنّ ما أتلّف من كتب في الأزمنة الخوالي عاش
حتّى الآن ؟! ... »
ورمق الورقة مرّة أخيرة قبل أن يحفظها في دفتر من دفاتره الكثيرة وقد اطمأن
إلى أن سرّ الدهليز لامحالة ذائع .

1998/9/9

* ملاحظة : ما كتبه في هذه القصّة إنّما هو محض خيال ولا صلة له بأيّ واقعة من الوقائع التاريخية .

ديكتاتورية صياد

قصة قصيرة

بقلم : عادل محفوظي

علق جرابه إلى كتفه ووضع مظلمته المكسيكية على رأسه لتقيه حرّ شمس الخريف ،
تفقد خراطيشه ، تأبط بندقيته ، تزود بما يلزمه في رحلة صيد بالبراري ورحل كعادته
بين التلال والأودية يصطحبه صديقيه الوفيين كلبه "توتو" وحمامته الزاجلة الزرقاء
"خنساء" رفيقا العمر والدرب الطويل . لقد أتقنت "خنساء" قانون اللعبة فحذقت
دورها وتعوّدت على الإيقاع بالعديد من الضحايا في فخّ مدرّبها متناسية خيانتها
العظمى لعالمها الأصلي جنس الطيور ...

وكانت لا تنهي هذه المهمة بمفردها بل كان يشاركها في ذلك زميلها في المهنة
الكلب "توتو" إذ كان ينطلق يسابق الرصاصة ويسارع بتلقّف الفريسة قبل وقوعها
على اليابسة ليقدّمها إلى سيّده مفتخرا بما قام به معبرا عن ذلك بحركات ذيله
القصير ... فيأخذها منه الصياد ليرمي بها في جرابه إلى جانب ضحايا اغتصاباته
ثم يدفعه ناهرا إيّاه لمزيد البحث عن من تخوّل له نفسه عدم الإمتثال لقانون الغاب
وللعبة الحديد والنّار ...

لكن في هذه الرحلة طال بحث الفريق بين البراري وتحت أكوام القشّ وفوق أغصان
الأشجار ... ولكن دون جدوى ... فقد أيقنت كلّ الحيوانات مصيرها وأدركت
نهايتها فعقدت إجتماعاتها داخل "أحجارها" وقرّرت عدم البوح بأسرارها ولا
مبارحة ديارها فامّا الثورة والإنتفاضة واما الموت جوعا تحت الأنقاض ...

اغتاظ الصياد الديكتاتوري وحزّ في نفسه أن يعود من رحلة اليوم بيد فارغة
وأخرى لا شيء فيها ... فقد تعودّ سفك الدماء كلّما خوكّت له نفسه زيارة الغابة
وإرعاب حيواناتها الآمنة ...

فجأة احتجبت شمس ذلك اليوم الخريفي وراء غيوم رمادية وسوداء ممّتزجة تراكمت
لحينها وانبلج من بينها برق أضاء الكون بنوره ودوى رعدا ارتعشت لقوّته أشجار

الغابة وارتعشت معها فرائص صيادنا الديكتاتوري فثارت السّماء وتوجّعت ثمّ باغتها
المخاض فازدان فراشها بحبّات الخير والبركة وسيول الطوفان... فاحتّمى صاحبنا
ومرافقيه بكهف صغير بعد أن بعثر وهدم ما بداخله من أعشاش عصافير... قست
الطبيعة في هذه الرّحلة ومكث صاحبنا ثلاثة أيّام بلياليها نفذ زاده فيها وأخذ الجوع
والتّعب منه مأخذه... فرقت "خنساء" لحاله وحطّت على كتفه تداعبه بمنقارها
وتتمسّح بريشها النّاعم على رقبتة، فالتفت صوبها وقد تطايرت عيناه شررا...
فنظر إليه "توتو" بعطف وحنان ورقّة محرّكا ذيله متوسّلا وكأنّه يقول له: أرجوك
سيّدي لا تفعلها...

أسدلت اللّيلة الرّابعة ستائر سوادها على الكون... فعمّ السّكون كلّ أرجاء الغابة
إلاّ من وقع حبّات المطر ونقيق الضفادع وعواء الذّئاب الجائعة.. فركن أصحاب
الكهف إلى الرّاحة وغلب النّعاس جفونهم، إلاّ صاحبنا الديكتاتوري ظلّ يتقلّب مرّة
إلى اليمين ومرّة إلى الشّمال... وطال اللّيل... وقبل ظهور الخيط الأبيض من
الخيط الأسود من الفجر، دوت طلقة ناريّة هزّت سكون الغابة وتردّد صداها مرّات
عديدة في أجواء ذاك المكان الهادئ وبين تلك الجبال الشامخة...
فأفاق على إثرها "توتو" مدّعورا بفرك عينيه مشدوها بتأمّل صديقته "خنساء"
تخبّط في دمائها ويتابع بنظراته ريشها النّاعم المتطاير هنا وهناك...

فاحت رائحة اللّحم المشوي تحملها نسائم صبح الغابة إلى أنوف الطفيليين من
القطط البريّة والشعالب التي تجمهرت بالمكان تطالب الديكتاتوري بحقوقها من العظام
... بينما كان هو منهمكا في امتصاص العظم تلو الآخر متلذّذاً ذلك بلهفة ونهم...
كان "توتو" يتابع المشهد بعين حزينّة مخفيا آلامه ودموعه حتّى فاجأه الصياد سائلا:
أ... حتّى أنت تريد عظما أيّها الكلب..؟ فتنهّد "توتو" ولسان حاله يردّد ويقول:
لست أدري من فينا الكلب...؟ ومن يدري قد يأتي عليّ الدور في اللّيلة الموالية...!
فصاح الصياد في وجهه: أتريد أن تقول شيئا يا كلب..؟ فحرك "توتو" ذيله كأنّه
يجيب: لا... لا أريد شيئا وليس هناك أيّ شيء سيّدي فالسّكوت علامة الرضا
... وفي الحين ألقي بنظرة خارج الكهف فالسّماء لا تزال تمطر بغزارة والمياه والسيول
تجرف كلّ شيء قويّ أمامها... وقد بدأت تقترب شيئا فشيئا من الكهف الصّغير...

نجمة بعيدة

قصة قصيرة :

بقلم : ناظم مزهر
العراق

- هذي "هوفة" بنت السيد السلمي

هتفت الخطابات اليافعات في طريق عودتهنّ وعلى رؤوسهنّ كوم هائلة من الأشواك اليابسة التي لم يتناسب حجمها مع ضآلة الأجساد التي بالكاد تخرج رؤوسها من بين الأشواك المتهدّكة، كن قد احتفظن في جيوبهنّ ما حصلن عليه من نبات الفطر البرّي بالعين الكسيرة ذاتها ، تضع يدها بيد خالتها القائمة التي لا ذت بصمت ممت طيلة طريق العودة إلى القرية كهن تقودها إلى حتفها الأخير .
- أحياتي ليس الأمر بيدي ...

كان الوقت أصيلاً أثلج الروح في فقر الدروب الزراعيّة التي خلت باستثناء أشباح البنيّات المبتعدات ، يلاحقهنّ صف طويل من آثار أقدامهنّ المنغرزة في وحل الطريق . وهيفاء كانت حين تلملم جسدها المنكمش داخل عباءة أمّها وتجلس فوق أكمات البزل العالية ، إنّما لتترقّب ظهور نجمتها الحبيبة من أتون بحر الغروب الذي غرقت فيه الشّمس وعلى سطحه طفت بقايا غيمات ، البيضاء منهنّ مثل ندف قطنيّة أدمها احمرار الشمس ، والسود بدون كجنازات مرتحلة ، تدفع الرّيح بكلّتيهما إلى ما وراء البساتين التي غمرتها العتمة باردة فبدت كراديس نخيلها الساكنة مثل فحول سود تموّهت منتصبّة لمباغطة غشاوة الأفق البعيد وغمرها بظلمة الليل .

ثمّة من دموع راحت تتلامع في عينيها ، ونجمة تتلأأ في الأعالي ، وإذا تتسارع أنفاسها داخل العباءة المهلهلة تنهرس روحها تحت اصطفاق أبواب الليل على الآماد

كلما دنت من أكواخ القرية فتلتصع نجمتها كمن تلوح لها بقلب خافق وهي تخرج
خصيصا إليها قبل كل النجوم منذ أن غابت أمها إلى الأبد .

- ما لهذه البنت شحبت و غارت عيناها ؟!

تساءل أبوها بجفول قروي وهو يرمق دثارها المستमित بالعباءة كالحلة اللون .

- لا تخافي .. قالت لها النجمة .

- كيف ؟

- أنا جنبك .

مع أمها ، حين كانت تخرج وتوغلان مع بقية النسوة ، لم تكن هيفاء تفقه سرّ
ذلك الهمس ، وحين تقحم نفسها بسؤال يزجرنها ضاحكات فتمسد أمها لها
ظفائرها قائلة :

- ستطول ظفائرك وتمسين كنجمة الصبح .

ليال طوال مرّت وأمها تتراءى لها مع النجمات المعلقة كالشرا في ظلمة السدم
البعيدة وكلما هوت راحدة تخاف من ذيلها القاني كحمرة الشفق وتخاف
النجمات مثلها ، كانت أمها تقول لها أن الشياطين وحدها تستغفلهن وتجرجر
الواحدة منهن على تراب الأرض كلما سنحت لها فرصة غياب الملائكة حراس
السّماوات ، إياك أن تكشف بطنك في ليلة صيف مقمرة فقد تهبط متنكرة بجلد
ثعبان أسود لامتناصص دماء العذارى الرأقدات .

ذاك الشيطان الذي ظهر لها بين أحراش القصب لم يكن حلما وعندما غفت
ذات ليلة رأت لصف عينيه المتقدتين احمرارا ، غشاها وابتعد تاركا حريف حراشفه
السوداء منغرزا في جلدها المزغب مثل إبر ناعمة ما فتئ ديببها الموحز يأخذ
روحها بعيدا كلما دنت من تلك الأحراش . "إن كان اصفرار مقلة عينها باقيا ،
قالت جدتها بخروا جسدها باحراق تغوط ذئب صحراوي وإن لم تهدأ غلمة الدماء
فيها ، مرغوها بطين السواقي ولتلتهم حفنة منه قبيل الغروب كي تخف حمتها " .

لا مرد للروح فيها وهي تسير كالتأنهة أمّا الجسد فظلّ تحت سطوة الإرتجاف
كلما سمعت ذلك الصوت ذا الرنة الغريبة وهو ينادي عليها كأنها تسمع اسمها
في زفير البساتين فتجرقدميها خلف خالتها الواجمة . كانتا تحدقان ، دوغا اتفاق

برؤوس الأشجار الشعثاء التي ملأت طريق عودتهما بنشار من أوراق مَيِّتة فارقت
أُمَّهاتها وراحت تقلِّبها الرِّيح ، ثمَّ مالبت هيفاء أن تكلمت :
- خالتي .. ما علّتي ؟

وعادت إلى صمتها منشغلة ، هذه المرة ، بمحاولة مجهدة لرفع أذيال عباءتها
الطويلة كي لا تمسَّ الأوحال ، منهمكة في الوقت نفسه بتجنُّب سحق أزهار الشيل
التي تشبه إلى حدٍّ ما قرارات صغيرة أخرجت رؤوسها من الطين وراحت تكابد
الغرق . كانت قدماها حافيتين موحلتين وهما تختبئان تحت الأذيال مثل قطّين
عمياويتين ، لكن الذي راح يشغل بالها الآن هو كيف لم تستطع ذاكرتها تجميع
شتات صورة واضحة لوجه أُمِّها ، وما لاح لها عند حافة الأفق لم يكن إلّا ملامح
متكسرة كهشيم من زجاج صاف وعينين مغمضتين راحتا تتفتّحان ببطء ناعس
مثل زهرتين برّيتين تتابعان أسراب الطيور المهاجرة ، وثمة من ابتسامة شفيفة
غارقة في طوفان من ضباب سماوي ، كان وجه أُمِّها يسابق النجمة وسواد الليل
يهبط فarda جناحيه مثل عباءة أمّ هائلة فتحت ذراعيها في البعد السديمي المضبّب
لتنضوي تحتها مجاميع من نجميات متآخية بردن هناك وهنّ يتبادلن الضوء
كالهامسات ، تومض واحدة وتنخفّ أخرى أمّا نجمتها فساطعة دوما مثل عين
بلورية ترقب لها الطريق ، وفي الأعالي الميوّءة بوحشة ظلام كوني كانت الأرواح
التي أثلجها الليل تسكن هناك فخيّل إليها أنّها تسمع همسها البعيد وهي تنادي
أن تعالي يا هيفاء نغمرك بالظفائر النجميّة المذهبة ، ولما ترمق نجمتها كدمعة وحيدة
ذرفت من أجلها فتصيح في أعماقها :

- أُمِّي .. ما علّتي ؟

وإذ تلتفت إلى البساتين التي غمرتها غشاوة الدُمُوع تمَنَّت لو قضت ليلتها
الأخيرة في أعشاش العصافير الدافئة ، ولما عاودتها نوبة الإرتجاف شعرت برغبة
في تقيؤ الدماء المتفسّخة في بطنها ولم تكن تشعر أنّها تسير على الأرض بل كانت
تطير مع بقايا الغيمات المرتحلات اللواتي حملن نعشها الملفع بالسّواد نحو نجمة
الشريا ، بعيدا عن مهبط الشياطين .

كتاباتنا فلذات أكبادنا

قال بعضهم : « أبناؤنا فلذات أكبادنا تمشي على الأرض » .

ونحن نقول : كتاباتنا فلذات أكبادنا الجديدة الهائلة الباحثة لها عن مستقر الطارقة كل باب ، النازلة كل منزل ، المستسلمة حيناً ، المتمنعة أحياناً ، الهاجعة طورا في ثنايا الذات والتواءات النفس ، الشائرة طورا آخر ، المتجلية في شدة طائر أو هدير موج أو عصف ربح .

ومن منا لا يشعر أن أفكاره بناته ؟ ... وأن يكتب على الصحائف البيض شظايا من أكبادنا المكومة المتناثرة ؟!

جميعنا يشعر بذلك وأحرى بهذا الشعور أقلام صغيرة ، حائرة متقلبة بين الأوراق تسعى جاهدة أن ترعى ما تكتب كما ترعى الأم الرؤوم أبناءها .

ويريد أصحاب الأقلام الصغيرة أن يروا بنات قرائحهم تنمو وتشب ويشتد عودها ويرمقون ما يكتبون بعين الإعجاب كما ترمق الأم طفلها الذي أودعته بعضا منها فتكبر في قلبها الوعود وينبع الرجاء .

ونرجو أن يورق الأمل في قلوب من أرسلوا لنا بيانات أفكارهم فنشرناها في هذا الحيز المخصص لأدب الشباب من مجلتنا ولكننا نرجو أكثر ألا تحبوا الجذوة المشتعلة في قلوب البعض الآخر ممن لم ننشر لهم عملا من الأعمال لسبب من الأسباب التي لا نذكرها تفصيلا بل جملة .

ولعل أهمها ضيق المجال وكثافة المادة المعروضة إذ لا يمكن أن ننشر أكثر من نص واحد لكل قلم ناشئ .

بيد أنه يوجد نصوص أرجأنا نشرها لما تكتسبه من أهمية تفرض علينا نشرها كاملة وهذا حال الدراسة التي أنجزتها - منية العبيدي - المعهد الثانوي بالكرب . حول المرأة في شعر نزار قباني .

أو لأن صاحبها واحد كما هو شأن هنده محمد التي غمرتنا بنصوصها ونعدها بنشر بعضها في أعداد لاحقة .

ونحن إذ ننشر ما وقع انتقاؤه مما وصلنا من محاولات أدبية لا نغض الطرف عن بعض الهنات والنقائص الموجودة في تلك النصوص وهي خدوش تلحق النص الفني فتشوه صورته الجميلة . فاشتغلنا في بعض النصوص باصلاح أخطائها المختلفة وفي بعض النصوص الأخرى بحذف ما يحسن حذفه ولا غاية لنا من ذلك سوى المحافظة على جمالية النصوص وإيصال المعاني اللطيفة إلى القارئ في صورة حسنة لا ننكر أن قسطا كبيرا منها قد تحقق في النصوص التي هي بين أيدينا . وفي الختام نقول « وأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

فلتمكث نصوصكم في الأرض لأنها . فيما نرى . مما ينفع الناس ولا عقتكم بنات أفكاركم أبدا .

بقلم : ن. ع .



بقلم : ربح الدريدي

هنا في هذا المكان المهجور ، في هذه البقاع المنسية أشرق شمس التاريخ . في ذلك المكان الدارس الخالي ، في ذلك القبر المنسي ، انبثقت أول بنفسجة على أرض جدباء وتهلل المكان ونبست بصوت مخنوق لطالما انتظرت هذا الضياء .

كانت الظلمة أقرب ما يكون ، والضياء ! الشمس ! النور ! ... أبعد ما يكون مني من بقايا من أشلاء نفسي المدفونة تحت تلك الشجرة الشامخة : شجرة السنديان المعانقة للسحب ، الحاجة لنور الشمس المطلق في كل صباح .

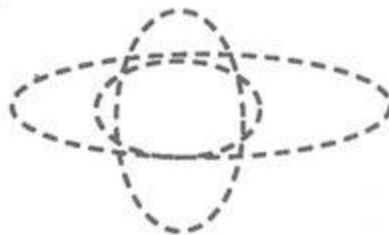
كان فجرا وبداية صباح غائبا عن كل مخيلة ، عندما غشي عيني نور مطل
كالخريق ، فلم يبق سوى بقاسا حبة ودقات فاترة في قلب يكاد يخلد إلى نوم
عميق لكي يستكين إلى راحة الخلود ، عندما أطل ذلك العربي الغريب بمفاتن
أوصافه وأخبرني أنه انسان بدون هوية ، يعيش الحرية ويطير دوما مع نسيمات المساء
بدون أجنحة ليطوق أحلامه الجميلة بذراعيه ويرقب لوحة الغروب بكل رومنسية إنه
الرجل الذي بعثه إليّ القدر لينتشلني من يد المنيّة لكي يعلمني الرومنسية ويغويني
بتلك المنشودة المفقودة : الحرية .

سيدي قلت لي أنك رومني لا تهوى سوى الحرية وتغويك لوحات
المساء المغرية . لقد علمتني أن أصارع شبح الموت مثلما صارع "سيزيف" ذلك
القدر المحتوم .

استطعت ، رغم الظلام الحالك والضباب المكثف أن تقتحم أسوار المنيّة فسوف
أدوّن منذ الآن أحلامي المنسية لأجل عينيك العسلية وهذه رוחي بين راحتك
فخذها هدية .

لكن شمسك سوف تبقى حرارتها لكي تذيب بقايا الجليد المتراكمة على عتبتني
ونورها سوف يخط لي أول خرف سعادة في معجم الأحرار .
وفجأة رسمت في معجم لطالما تناثرت أوراقه بدون اهتمام ، لهو ، مرح ،
جدّ ودواء .

وبرز صوت قيثارة العربي يعزف أغاني الحرية ولأول مرة يرقص قلبي مع
الرياحين وشقائق النعمان الوردية .



ظفر العرق بي

شعر : هشام حتيرة

في الجزائر ضباب ..
لم تعلمني عروبتى غير الخوف
عروبتى لن تطمئننى بعد اليوم
تنجبنا الأم
والعروبة تفجّرنا
ترقرقنا
تشوبنا لذهول تشتهيه الذئاب
إلى متى يرهبنى قلبي
وجسدي يعذبني ؟
تتجسّسين على قدمي
إلى متى عيني ؟
وتجرّبنني غصبا إلى اللمه
عروبتى نشوة معطبة
شفاهي للعطش الأحمر
لم تعلمني عروبتى غير الخوف
أصبحت أثق في النوم
وأثق في سلام الذئب
وأعرف من الخوف
أنه صبرني
وسارق عمقي وشهبي
عروبتى أَلمتني
ولدمعتي حلّة الطين
وضحكتي شعب
في واجهة العابسين
على شفاه الذاهبين دلتني

كم للعرب سلّمت
وكأنّهم نقدوا الحبل
ورموا للهوف أمنيّتي
ظفر العرق بي ..
ظفر العرق بي
بالجزائر ضباب
وعروبتى معي ضديّ
وجيل يلينا بلا رأس بلا فأس
بلا زلزال بلا رجّات
عروبتى همزات العراة
في كساء الدم المبكر
وغرغرة الهقار والفرات
وعروبتى ذنبي
لو أنّني خيرت لاخترت ذنبي
ظفر العرق بي
للبحر قلبان
أنا ..
والماء
فما جدوى العروبة في صدري
سقط البحر
وظفر الماء جرحني
والنّوارس ملّت سماعي
والقوارب في ذراعي لا تعوم
ظفر العرق بي .. ظفر العرق بي .

رحيل إلى العدم ؟؟؟

شعر : هندة محمد

حرام...
حرام أن تضيع خطواتنا
على هذا الإسفلت الأسود
وتجفّ في دواخلنا
سيول العشق
وتموت في صدورنا
آهات الجنون
وتختنق أنات الألم اللّذيد
حرام أن نموت من دون
جنازة ، من دون كفن
وتكون لنا الحياة قبرا
بعد أن كانت حقائق غناء
حرام أن نقتل بسيوفنا
برماح صنعتها لنا أيادي
الشّياطين الحمر

ميلاد فجر

شعر : عربية الدبغي

وتضجر مني معاني القصيدة
تريد خلاصا تريد انعتاقا
ولكن حروفي الشريدة
لا تستطيع التحرر والانطلاقا
وبقي المخاض بدون نهاية
فيوشك قلبي يذوب احتراقا
وبقي يراودني الحلم دوما
يزيد التألم والإشتياقا
أراني أنقب عن ذكرياتي
وأعدو أطارد بعض الفكر
فألقي القصيدة بين زوايا
فؤادي معذبة تحتضر
وتخدعني آمنيات جديدة
فيهزأ مني شعاع القمر
تري البدر كيف يصوغ المعاني
بأي اللغات يناجي السحر
ففي لحظة يتغافل عنا الزمان
تكسر كل القيود
فتنطلق الكلمات الأسيرة
تشع جمالا كأحلى الورود
وحين أترجم دقات قلبي
حروفا كأنغام ناي بعيد
تدق النواقيس معلنة
أخيرا ولادة فجر جديد .

لأدب الطفولة ودورة الإمتياز

متابعة : الهادي بن عمر

تحت شعار « الإمتياز في عيون الطفولة » انعقدت الدورة الثامنة للملتقى الوطني لأدب الطفولة بدار الشباب والثقافة ابن رشد بمنزل عبد الرحمان من ولاية بنزرت أيام 28 و 29 و 30 أوت 1998 . صنع فيه الحدث أدباء أطفال أبدعوا فأقنعوا وهم يعالجون قضايا جادة في لغة تبشّر بميلاد جيل جديد واعد لاشك أنه سيفرز أدباء مطبوعين ...

إنها براعم تتفتح على مهل لتنشر شذاها . فما أجمل أن يكتب الطفل بهذا النضج والوعي ، والطلاقة التي أبهرت الكبار ، وما أمتع أن ينحت الصبيان كتابة أدبية يزاحمون فيها مشاهير الأدباء والكتاب .

وأنت تراهم منشغلين بهموم الفكر والأدب ، مسكونين بهاجس الكتابة ، لا يسعك إلا أن تقول صادقا : شكرا لمن سهر على ترتيب هذا اللقاء المتفرد فمئنا تلك المتعة الإستثنائية . على واجهة دار الشباب والثقافة ، قرأنا عند وصولنا بعض الللافتات الهادفة منها :

- * قال معاوية : يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب .
- * التجمع فضاء الكفاءات وأهل الفكر والثقافة والمبدعين .
- * سئل أحد المتقدمين عن الشعر فقال : ما ظنك بقوم ، الإقتصاد محمود إلا منهم ، والكذب مذموم إلا فيهم .
- أطفال أصيبوا بهاجس الكتابة ، وحلت بهم عدوى الإدمان على الأدب ، قدموا من جهات مختلفة ومتباعدة ليعلنوا « نحن أدباء ولنا ما نقول » .

في الافتتاح ، حضرت فرقة البحيرة للفنون الشعبية بقيادة الفنان سامي الدريدي وكان للطلبة والمزمار دور في تنشيط الأطفال والإحتفاء بالضيوف القادمين من بعيد ، وقد قامت الفرقة بجولة عبر شوارع البلدة رفقة المشاركين الضيوف فأشاعت جواً بهيجاً :

- فكرة جيدة تفاعل معها المواطنون في الشوارع والأحياء .

الافتتاح الرسمي كان مع الأسف باهتا سجلنا فيه غياب مسؤول رسمي للإشراف ، وحده كان مدير دار الشباب والثقافة السيد محمد السعدي يشرف على تنسيق الأمور والسهر على تسييرها بمساعدة المرئي علي سحيق رئيس شعبة المدينة .

والسيد محمد السعدي ، هذا الكهل النشيط ، يقوم وحده بكل أعباء التظاهرة ، يجهد نفسه لتحقيق أوفر ظروف النجاح ، يطمح دوماً إلى الأفضل ، ولكن يبدو أنه يعمل بيد فارغة فهل من دعم لهذا الرجل المناضل من أجل الثقافة ، ليكفي مؤونة الشحذ والإستجداء والإحياء مثل هذه التظاهرات ؟!

في اليوم الأول ، افتتح القراءات الطفل محمد العثماني القادم من ولاية مدين والذي قدم قصة بعنوان «شهادة امتياز» فكانت بحق شهادة امتياز للدورة ، ولأدب الأطفال عامة ، فقد تميز هذا العمل على صغر سن كاتبه بنضج التجربة وامتلاك اللغة والسيطرة على الأدوات الفنية للكتابة .

في اليوم الثاني تركّزت أنشطة الفترة الصباحية على مداخلة قيمة للسيد عبد الباقي الوسلاتي متفقد التعليم الابتدائي بعنوان "مفهوم الإمتياز" ، ركّز فيها الحديث عن الإمتياز ومفهومه في مجال الدراسة انطلاقاً من عملية إصلاح التعليم التي سعت نحو تحقيق الإمتياز ، مذكراً أن الإنسان كائن متميّز عن غيره من الكائنات بالدراية والذكاء ممّا يؤهّله إلى تحقيق نتائج هامة في ما يقوم به من أنشطة في مختلف المجالات ، فالإمتياز في نهاية الأمر هو حركة تربوية تجديدية تسعى بالأساس إلى تفعيل دور المدارس كمؤسسات تطمح إلى تحقيق مردود متميّز كما وكيفا . وتنطلق هذه النظرية من رؤية متطورة تضع في اعتبارها إنسانية الإنسان التي تركز على مبدأ أساسي يعتبر أن كلّ طفل قادر من حيث الأصل على التعلم ، إذا توفّرت له الظروف الملائمة لذلك ، وأنّ كلّ تلميذ قادر على النجاح ،

وله المؤهلات الكافية إذا نحن مكنّاه من أسباب ذلك ، ثم تطرّق السيّد المتفقد إلى الجواب عن سؤال هام هو : كيف نساعد الطفل على التعلّم ؟ ، ليبين أنّ النظرة الإيجابية للطفل برؤيا متفائلة تنطلق من اعتباره مهينًا للفعل لأنّه يحمل القدرة على ذلك في ذاته ، وأنّ التّركيز على أساسيات المعرفة كبيداغوجيا حديثة تعتمد التّشخيص والتّقييم والتّكوين وكلّ ذلك من مظاهر مساعدة الطفل على التعلّم ... المداخلة جدّ قيّمة ، سواء من حيث المحتوى ، أو من حيث الإطار العام الذي تنزّلت فيه وقد فتح السيّد عبد الباقي الوسلاتي المجال إثر مداخلته للإستفسار والنّقاش للأطفال والأولياء ممّا أثري الحوار ، سجّلنا خاصّة كلمة للمربي الشّاعر الهادي العثماني الذي استعرض بعض معوقات عمليّة التعلّم ومعرقلات الإمتياز في الحقل التربوي فأشار خاصّة إلى ظاهرة الإكتظاظ في الأقسام ، وطبيعة الضواريب الخاصّة ببعض المواد الأساسيّة ، والإرتقاء الآلي وحالة بعض المدارس الريفية وتأثيراتها وتجهيزاتها الأساسيّة وكذلك دور الولي المحايد في أحسن الحالات أو الذي يتحوّل إلى عامل معرقل أحياناً (ملاحظات أساسيّة وقيّمة) .

في المساء تواصلت قراءات المشاركين وكانت في أغلبها رفيعة تنمّ عن مستويات طيّبة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

في اليوم الثالث ، أثرت هذا الملتقى مداخلة السيّد رشاد النّابلي مندوب حماية الطفل وأفادت الأطفال والأولياء معاً ، وممّا جاء في هذه المداخلة أنّ الإنسان التونسي له مبادئ ومواقف بناءة ناتجة عن تجارب ، وأنّ من أهمّ المبادئ التي جاء بها التّغيير مبدأ العمل الذي يمثّل قيمة الإنسان وكرامته ، وقد انطلق السيّد النّابلي من هذا المفهوم ليبرهن للنّشء أنّ العمل أساس الإمتياز للوصول إلى درجة الإدراك ، وذلك في الحقيقة هو الشّعور بالمسؤوليّة ثمّ تطرّق إلى التذكير بمجلة حقوق الطفل كمكسب ثمين لما جاءت به من حماية ودعم للنّشء ، وما نصّت عليه من إجراءات للتدخّل العاجل لفائدة الطفل الذي يعيش وضعيات صعبة لحمايته اجتماعياً وقضائياً ، وتعرّض إلى تحليل أسباب الجنوح ومظاهره لدى بعض الأطفال كما ألحّ على ضرورة ربط علاقة واضحة وسويّة بين الولي والمربي وذلك من أجل خدمة صالح الطفل .

هوامش من الملتقى :

تنوّعت فقرات الملتقى بين قراءات المشاركين ومراوحات شعرية ألقى فيها قصائد للأطفال كلّ من الشّاعر نور الدين هلال ، والمربي الشّاعر الهادي العثماني الذي واكب كلّ فقرات الملتقى وقرأ من شعره قصائد جميلة للأطفال ، وقد عرفناه شاعرا يكتب للكبار ، فاكتشفناه بهذه المناسبة شاعرا يكتب للطفولة نصوصا جيّدة تنزّلت في صميم اهتمامات الطّفل .

أما الفنّان القدير السيّد عادل بوعلاق مدير الكورال الوطني ، فقد كان لحضوره نكهة خاصّة أضفت على الملتقى متعة وطرافة طوال يومين كاملين عزف فيهما بالعود وغنّى للأطفال مع الأطفال أناشيد رائعة كان اختياره لها موفّقا على مستوى الأداء واللّحن والكلمة التي تمسّ شغاف القلب ، وتدعو إلى الخير والفضيلة ممّا أطرب الجمهور وجعل الحاضرين يشاركونه الغناء بتلقائيّة واندفاع وهو الفنّان المرهف القدير الذي فهم الأطفال فغنّى لهم بإبداع (فكرة مفيدة وطريقة تميّز بها الملتقى وأثرى) ، فشكرا لمنظّمي هذه التّظاهرة على دعوة هذا الفنّان ، وما أجمل أن يمتزج الأدب بالموسيقى فيتكاملان ، وكلاهما فنّ جميل .

* تخلّل الملتقى فقرات تنشيطيّة من إبداع الثّاني : رفيقة السمعلي وغادة بن عمارة وقد غنّتا في أكثر من مناسبة بانسجام كشف عن موهبة وفنيّة واعدة .

* شهادة شكر استحققتها مكتبة الأطفال بالدهماني بقيادة أمينها العام السيّد عزالدين فضلي الذي شارك بعدد وافر من الأطفال (13 مشاركا) ليؤكد من خلال تواتر حضوراتهم (للمرّة الخامسة) أنّه في خدمة النّشء والكتاب ، وأنّه حريص على العناية بالثقافة وتعويد الأطفال على الإختلاط وربط الصّلة بينهم ، ومع الكتاب والكتابة .

* وقع احتفاء وتنويه كبير بإبداع الطّفل محمد العثماني «شهادة امتياز» التي قال فيها السيّد عمر الونيسي رئيس اللّجنة الثقافيّة بالقصر الجديد في تقديم له لما كتب هذا الطّفل : « ينصرف الطّفل محمد العثماني إلى الكتابة بسيولة وإبداع ... فهو على حدّاثه سنّه قد انضمّ إلى المبدعين في أدب الأطفال ، وأعتقد أنّه دخل من الباب الكبير ... فما أحلى أن يكتب الطّفل للطّفل ، وما أروع أن يمتلك الطّفل

الكاتب أسلوبا سلسا كهذا ، ولغة سليمة ، وأفكارا على غاية من الأهمية في بعدها الاجتماعي ... إن محمد العثماني قد فهم الرسالة أيما فهم وانخرط في الحياة الجمعياتية فتأثر بها وأثر فيها وكل من ساهم في تأطير هذا الطفل يشهد له بذلك » .

أما السيد عبد المجيد النجار (مساعد بيداغوجي) فقد ورد في شهادته قوله : « بأسلوب يزخر إبداعا ، يكتب الأديب الواعد - محمد العثماني - فيأتي إنتاجه متينا متناغما يحمل في طياته صدق الشاعر ، وثناء المعاني ويؤشر إلى بزوغ أدب الطفل في زمن أصبح فيه الطفل محور الإنسانية ... إن شهادة امتياز في روعة أسلوبها وترباط معانيها تجعل القارئ لا يتردد في نعت صاحبها بالامتياز » .

* الملاحظ محمد العثماني هو الفائز بالجائزة الأولى لأدب الأطفال في الصائفة الماضية 1997 عن قصته « القصر والسفينة » .

* لقد تميزت نصوص أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا التحديد : نص أحمد الحاج طيب ونص سنية لشهب .
* أصغر المشاركين كانت ذكرى الغربي القادمة من أريانة (مولودة سنة 1987) تلميذة بالسنة السادسة .

* واكبت الإذاعة الوطنية فعاليات الملتقى لتسجيل بعض القراءات واستجواب بعض المشاركين كما غطت القناة الثانية (قناة 21) للتلفزة التونسية هذا الحدث المتميز .

من آرائهم في الملتقى :

محمد العثماني :

- لئن لم يكن الملتقى أدب الطفولة بمنزل عبد الرحمان غير إتاحة فرصة اللقاء بين الأطفال وبعث حافز الكتابة لديهم كفاه ذلك شرفا ، ولكنني أراه قد تجاوز ذلك بمراحل متقدمة فأفرز أدباء مبدعين كشفوا عن مواهب حقيقية . وأنا فخور بالانتساب إلى رواده ومعتز بالفوز دون غرور .

أرجو صادقاً أن يتواصل هذا الملتقى ويتطور حتى لا نُحرم متعة حضوره وإنّا لمصرون على دعمه بكلّ ما نملك من طاقاتنا . مع اعترافنا بكلّ جهد مبذول من أجل إنجاح هذه التّظاهرة الرائعة ، وسوف لن أنسى الحفاوة البالغة والتّشجيع الذي قولنا به ... أقول شكراً لكلّ من يستحقّ ذلك .

* رأي المربّي الشّاعر : الهادي العثماني في الملتقى :

« إنّه موعد إبداعي فريد ومكسب وطني ثمين ، هذا الذي يحدث في دار الشّباب والثقافة "ابن رشد" بمنزل عبد الرّحمان تحت عنوان أدب الطفولة . فيه يصنع الأطفال الحدث ويؤكدون للكبار : « نحن هنا ، ولنا ما نقول » . إنّ ما سمعته من الأطفال المؤلّفين لهو الإبداع المبهّر الذي لم يأت من فراغ ولكن رجالاً مخلصين ، مؤمنين بهذه القضية ، ما انفكوا يقفون وراء هذه التّظاهرة التي تتطلّب الكثير من الجهد والدعم المادّي ، وأرى أنّ الصدق والعزيمة كانا أكثر حضوراً لإنقاذ هذا المشروع الكبير من التردّي والإنهيار ، في غياب ميزانية كافية لذلك . وهذا أمر واضح . . أخيراً أقول لكلّ من ساهم في النهوض بهذا الملتقى ، إنّه نجاحه أعظم جزاء على ما بذلتم من جهد ، وإنّ نجاح الأطفال هو نجاحكم ، وسوف يذكر سعيكم المشكور » .

وفي الختام :

وقعت تلاوة التّقرير الأدبي الذي نوّه بمستوى المشاركات في الجملة ولفت نظر الأطفال إلى التحري عند الكتابة لتلافي الأخطاء النّحويّة والصرفيّة كما أهاب بهم للسعي في تحسين الخط حتّى يكون مقروءاً ، وقد توجّه التقرير بجزيل الشكر لرجال التّعليم الذين كانوا وراء هذه الطاقات الخلاّقة وكذلك دور الشّباب والثقافة التي احتضنت هذه المواهب كما تضمّن توصية بالنّشر للأعمال الفائزة . وفي النّهاية وزّعت الجوائز على الفائزين وانتهى الملتقى على أمل انعقاده في الصائفة المقبلة في دورته التّاسعة .